سبا الثقافية

شهرية ثقافية فنية

SIBA

الكلمة الصادقة لا تحتاج إلى الزخرفة

العدد 50

سبا الثقافية

01 / 09 / 2021

التشكيلي مصطفى مسلم

لنا كلمة

كان كل شيء من حولي حقل من الأسئلة والغموض، أجهل أشياء كثيرة ، فجأت امتنعت عن اللعب مع الصبيان ولم أعد أختلط بهم ، ولا أدري لماذا كان يجب أن أرتدي وشاحا على رأسي وأخفي شعري الذهبي تحت تلك القماشة ، كنت أشعر بالاختناق ، في وقت أبكر من هذا تعرضت لـ لآت كثيرة ”لا تنطقي هذه الكلمة, أنت بنت ، لا تضحكي ، لا تغنّي ، لا تلعبي حينما تجلسين شدي ساقيك على بعضهما، ” كأن شيئاً سيسقط مني ، صدري تكور مثل حبتين من التين وكان جسدي يشهد تحولات غريبة، ونمت بعض الحبيبات على وجنتي وفوق أنفي،

و أحد الأيام استيقظت من فراشي و قد سال مني الدم على ساقي ,بكيت بصمت ولم أخبر أحدا، لماذا خرجت الدماء وماذا سأقول؟ كان سيل من الأسئلة يغمرني ، كنت أعيش معركتي الداخلية بصمت , لم يرشدني حينها أحد ؟..كانت أمي تدير شؤونها الخاصة وتتحدث ساعات وساعات على الهاتف , تتحدث عن الملوخية وفستانها الأخير الذي ضاق عليها لأنها أصبحت سمينة ، وتتحدث عن حرب العراق وظلم الغرب للمسلمين والاحتشام، لكنها لم تنتبه لابنتها التي تتعرض للغزو وتداهمها كل شهر حرب دامية ، وكيف يئن ثدياي تحت الحرام ليلا ، ولم تنبته إلى عانتي التي تحولت من زغب أصفر إلى السواد ، وكيف يصرخ فيَّ كل عضو برغباته الدفينة ، وعرفت الفرق الشاسع بيني وبين إخوتي الصبيان ، كان أخي الذي يكبرني يتحدث بتباهٍ عن مغامراته ولقاءاته الغرامية, وأمي تبتسم له بفرح ويخرج الضحك حتى من ركبتيها. جريمتي أني وُلدت بعضو تناسلي مختلف عنه ،كنت ألمس عانتي بصمت تحت اللحاف ،كنا ننمو وننضج معاً ، شاركت مع عانتي أسراري التي كانت مثل كمشة من المخمل تئن تحت

يدي ، وثدياي المكتنزان ، تخيلت معهم الممثل الأمريكي جورج كلوني ، ولا عب كرة قدم أسمر ، ومدرسي الأخير قبل أن تلفظني العادات خارج أسوار المدرسة ، اشتعلت ليالي بالنجوم وانطفأت بالحسرات، كنت أكبر كنبتة سامة في حقل الذكور، وأسرج صهوة أحلامي وأنطلق بها بعيداً عن الواقع قريباً من رغبتي ،وأسمع صهيلي الداخلي ،أسقط وأتعثر بأوتاد العادات، ماذا يعني لو كنت مثل أخي أجاهر بعلاقة خارج جدران البيت التي أصبحت سجناً لا أغادرها إلا في المناسبات برفقة الحراس ، الآن أعيد كل تلك المراهقة إلى البيت الأول، لم يختلف بما يُسمى بزوجي عن ترس عادات أهلي ، لقد هرمت عانتي من الحب الذي لم أصله ، أنا الآن تلك المرأة التي تهتم بالغسيل والطبخ و أتابع المسلسلات الفارغة وأملأ كرشي بالكولا وأستهلك في لياليّ الكثير من الموالح، لم تعد لتلك المراهقة أي أحلام تجعلني أفضل مما أنا عليه لكن ما زلت أملك صورتك في خيالي بكل تفاصيلها بانتظارك.

تعفن قلبي , ما عاد يصلحه ملح الحب, أبكي أحيانا دون أن ينتبه أحد إلى أنني دفنت الكثير من الأحلام , سبخة من الملح تمتد في عينيّ , لم أنتصر في الحياة بل هزمت أنا قدر ما شاء الواقع وهذا العالم الشرير، لقد أنجبني الحزن ، وما كنت بحاجته ,أكرره على مراهقة ابنتي وهي تتذمر قائلة :“ لا أعرف كيف أضع الفوطة بين فخذي“ وتضحك بخبث ،وما زلت كإسفنجة أتشرب الوحدة وما من أحد لأشاركه هذه القصص المثقوبة من الحزن.

هيئة التحرير

تقرؤون في هذا العدد:

محمد باقي لجريدة سبا:

الحسكة يوتوبيا أحببتها لأنّها مدينةٍ للجميع بلا هوية عرقية أو دينية فهي ليست مدينةٍ كردية أو عربية أو سريانية

يوم موتي

خليل جابو

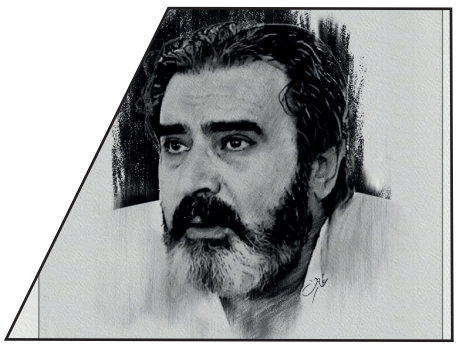

عمامةٌ بحجم كفن

أيمن ناصر

بيمول

م. مرح صالح

وصايا الموج

ديلان تمي

المواد المنشورة في الجريدة تعبر عن آراء كاتبيها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة
لمراسلتنا أو إرسال موادكم
sibakenu@hotmail.com

محمد باقي محمد لجريدة «سبا»: الحسكة يوتوبيا أحببتها لأنّها مدينة للجميع بلا هُوية عرقيّة أو دينيّة فهي ليست مدينة كردية أو عربيّة أو سريانيّة.

حاورته: فاتن حمودي

الاقتراب من كاتب ينحدر من منطقة شديدة التنوع بطيفها السكاني، عرب وكرد وشركس وشيشان، منطقة تشكل موزاييك ثقافي شديد الثراء، يعني الاقتراب من كاتب يعرف تماماً معنى الجزيرة السورية، معنى المكان إنسانياً، سوري الهوى، كردي الانتماء، إنه القاص والروائي محمد باقي محمد.

يمشي في نصه من دمشق إلى حلب والحسكة، يلتقط الحكايا والقصص من عيون موجوعة، ويكاد لا يغمض عينيه عن عالم مركب ومأزوم، وهو الذي عاش اليتم مبكراً فوجد نفسه في مواجهة الرجولة و لا يزال يافعاً، شكّلت المدرسة وعصا المدرس الإطار النفسيّ والعقليّ والاجتماعيّ لتكوينه.

العين التي شاهدت نهرالخابور، مدن وقرى مترامية، يتكلم الكردية لغة بيته، وقد شكّلت له اللغة العربية نافذة على ثقافات متعددة. اللغة ومحاولات الكشف عن عتمات وضوء، كيميا الواقعي والمتخيل وكأن الكتابة إقامة في حدود القسوة والموت، وفتح نوافذ على الجمال دائماً من خلال شخوص يرصد صمتها وغناءها وحزنها و غضبها.

هو الآن في سوريا، يعيش زمناً عارماً بكل شيء، الحلم والحرب، النزق ، الغضب وفورات التغيير والتقسيم.

في هذا الحوار محاولة للاقتراب من رجل شكّلت القصة خط حياته وطريقة تفكيره في التقاطه للصور، ولأن الكتابة مساحة للحرية ومحاولة للتحايل على الموت فقد أطلق في نصوصه أسئلة الوجود المقلقة، وأبدع الكثير من القصص "إنّها تمطر في الخارج". كتب عن عن العرب في "ليالي الشمال الحزين" وفي "مدار الصمت"، وكان للكرد نصيباً في "مأساة ممي آلان"، كتب بحس شعري دون أن يجعل المشهد القصصي غائماً.

بدأت رحلته في عالم القص في أغنية منتهية بالرصاص 1986، ثم عن اختفاء العامل يونس-و بعدها الطوفان ورواية فوضى الفصول ومأساة ممي آلان.

حول التجربة والطريق كان لنا معه هذا الحوار:

*** في حلّك وترحالك كان قطيع الغنم، واندفاع الطفولة النزقة خارج مدارات المألوف يرافقانك بعيداً، تقذف عصاك، فيركض "بطاح" لإحضارها، وتسابقه مشجّعاً، قاطعاً الغيضات المالحة، مخترقاً غلالة الغبار الرقيقة، لكن "بطاحاً" كان يسبقك إليها".**

نبدأ من الطفولة، ملعب التأسيس، البيت الأول الذي ربما لا يغادرنا كما قال باشلار. حدثنا عن خصوصية هذا البيت، مكانك الأول والطفل الذي كان يتابع بعينيه تفاصيل الحياة المفتوحة على الطبيعة؟

- قد يُفاجأ القارىء بجوابي، إذ ليس في مُخيّلتي ذكريات تخصّني تتعلق بقريتي، أنا ابن مدينة، ابن بيئة تختلف في مُفرداتها، هنا ستحضر الأبنية الطابقيّة والطرق المُدجّجة بالأرصفة، الأسواق والمحال والبشر المُتجهّمون، المُسرعون دائماً كمن يسوطهم أحد من الخلف، أمّا ما اختزنته الذاكرة عن قريتي "كركي دقوري"ومن خلال زيارات مُتكرّرة إلى بيت جدّي، هناك كنت أفاجأ بالمدى المفتوح على الجهات الأربع، الأراضي اللاحبة المفلوحة في الخريف بلونها البنيّ الداكن والخضراء بزرعها المُتمايس في الربيع، ألعاب الأتراب التي لا تشبه ألعابنا في شيء وقطعان الماشية في رعيها ووردها وحظائرها. في " فوضى الفصول" استحضرت مشاهداتي تلك، دمجت الواقعيّ بالمُتخيّل، وبالتأكيد فإن لنهر الخابور ورافده الجغجغ في التقائهما عند مدينة الحسكة صور لا تنسى، السباحة التي تترك آثارها على ثيابنا الداخليّة، كما ويحضر محل البقالة الذي كنت أساعد والدي فيه بحيّ العزيزيّة الشعبيّ. اللغة (الكردية والعربية ولهجة ماردين) كنّ رفقتي في طفولتي المُبكرة، وعلى نحو مُبكّر تستأثر السينما عبر أفلامها بأفئدتنا وذواكرنا الغضّة، المدرسة الابتدائيّة برهبتها وجلالها وعصيّ مُعلميها، ثمّ وفاة أبي المُبكّرة التي حمّلت صبياً مسؤولية أسرته، ما وشم يفاعته وشبابه والمراحل اللاحقة من حياته بميسمها، لقد حدّدت الإطار العام لتكويني النفسيّ والعقليّ والاجتماعيّ.

***كيف تفهم الحياة، حدثنا عن الطريق إلى الحسكة، إلى مدينتك اليوتوبيا؟**

أحببت الحسكة، اليوتوبيا التي تخصّني، أحببتها لأنّها بلا هُوية عرقيّة أو دينيّة، فهي ليست مدينة كردية أو عربيّة أو سريانيّة، إنّها تقبل الجميع، وهي مدينة مؤنثة على عكس دير الزور مثلاً، ثمّ إنّني أفهم الحياة بالطريقة ذاتها، أن يكون المرء طيباً محبّاً ومُتسامحاً، والمحبة تضيق عندي لتضحي على مقاس الحبّ، أي الأنثى الحبيبة، أمّاً كانت أم زوجة أو حبيبة. على هذا سأقرّ بأنّ زوجتي لعبت دوراً محورياً في حياتي، وأؤكّد على أنّني لم أزوّر دور المرأة داخل متوني، لقد ظلت مظلومة، بعيدة عن أدوار البطولة، وهُزمت أحياناً، إلاّ أنّها لم تستسلم، بل بقيت تقاوم، لكنّني لتاريخه لم أكتب المرأة الحلم.

بقي أن أشير إلى أنّ أوّل عمل واع لعبته هو دور اليتيم، ولأقل من سنة دراسية عملت مُعلماً وكيلاً، هذه التجربة كانت وراء قصة " ليالي الشمال الحزين "، لكنّني قبل نهاية العام الدراسيّ كنت قد التحقت للعمل في مديرية الزراعة، هناك كانت بدايتي ككاتب، ولمّا تحصلت على دبلوم في التأهيل التربوي بعد الحصول على الإجازة العامة في الجغرافية، التحقت بمديريّة التربية، وعلمت في غير ثانوية للبنات، فيما تصرّم عامي الأخير وأنا أحاضر في كلية التربية التابعة لجامعة الفرات.

*** كنت تقطع الفلوات المرصّعة بالعاكول والخروب والأعشاب المتيبسة على ضفة "الزركان"، وآنها لم تكن تعرف أن زمناً سيجيء لا يشبه ما قبله".**

أنت ككاتب قصة، ماهي مرجعياتك الثقافية، وكيف أثرت عليك القراءة، قراءة الذات، المكان، الصوت، التقاط الشخصيات من مسرح الواقع، ولماذا تؤكد على أن القصة قادرة على التقاط أدق التفاصيل و قد تتفوق على الرواية؟

- نعم، أنا كاتب قصّة، بعضهم يرى في القصة تدريبات أوّلية لكتابة الرواية، إنّهم يعدّون الرواية أكثر أهميّة، وهذا كلام يفتقد إلى الدقة، الجنسان الأدبيان لا يتشابهان في شيء إلاّ في انتمائهما إلى خانة النثر. الرواية عمل مُركّب، هذا صحيح، وهي قادرة على التقاط حركة المجتمعات إذ تنعطف بحكم امتدادها في الزمن، ولكن ألم يعكس تشيخوف صورة الروسي الصغير في قصصه؟ ألا يُصنّف بين كبار كتاب روسيا؟

الواقع هو مرجعيّتي الأهم، ذلك أنّنا نكتب بدلالته كيفما كان الشكل الفنّيّ الذي نكتب به، هذا يتطلّب منّا التقاط المفردات والعناصر الهامة فيه، تلك التي تؤثر في مسارنا، والتي قد لا يراها الآخرون، بهذا المعنى فهو يسمح لنا بالتبصّر فيه، كذات وكمكان، كيف؟ تعالوا لنتمعّن في الفروق بين سكان الجبال والسهول، ألن تعطينا الجبال بشراً قساة، في حين أنّ السهول يتميز سكانها بالاعتدال واللين؟ وبهذا المعنى أيضاً نحن أمام ذوات، فالكائن الحيّ يعيش في وسط، أي في مكان ينطوي على الذات، ليمارسا عليه تأثيراً كبيراً، إنّهما ركيزتان هامتان في تكوين شخصيّته، والعلاقة بينهما عصيّة على التفسير، لذلك تجدين مُهاجراً من قرية منسية، إلى فيينا أو جنيف أو باريس، فإذا دنت منيّته أوصى بدفنه في قريته. من هنا أرى باشلار محقّاً حين يرى بأنّ المكان لا يغادر شخوصه، هذا حالنا مع الصوت، فاللغة للتواصل أو للكتابة أصوات، والموسيقى أصوات، والطبيعة أصوات، هذا ينطبق على اللون أيضاً، فالصحراء لون، والسهل لون، والبحر لون آخر، لذلك حينما نقول بأنّ شخوصنا مأخوذة من مسرح الواقع، علينا أن نتبصّر في تأثير المكان بمفرداته عليهم، لنرسم كائنات تنتمي إلى ذلك المكان حتى تكون مُقنعة، فيحسبها القارىء شخوصاً من لحم ودم ومشاعر أو أحاسيس، ذلك أنّ رصد علاقتها بالمكان والزمان والأحداث كادت أن تمحي المسافة بين الكائن المُتخيل والآخر الحقيقيّ، هكذا تضحي أفعالها منطقيّة وواقعيّته، إنّه الفنّ حين تمرّ عصاه الممسوسة بالسحر على الأشياء.

باشلار يرى ثلاثة أشكال لحضور المكان، حضور يصفه الكاتب كما هو لكن بعين الفنان لا بعين الكاميرا، هذا حضور واقعيّ، وقد نقدّم المكان كما تراه شخوص العمل، فتتباين صورته بتباين حالاتهم النفسية، وهذا حضور نفسيّ، الحضور الثالث يتحقق بأسطرة المكان، ما يكسبه حضوراً سحرياً، فإذا تحقق للمكان أشكال الحضور هذه معاً، تحوّل إلى فضاء روائيّ أو قصصيّ يضارع شخوصه كندّ أو كبطل.

*** مَنْ من القصصين السوريين تقف عند تجربتهم، أو أضاءت لك تجربتهم الطريق نحو الكتابة؟**

- نحن إزاء تجربة، فمع جيل الروّاد سنتعرّف على السرد التقليديّ الرصين عند عبد السلام العجيلي وفؤاد الشايب وإليان ديراني، ومن قبلهم علي خلقي. لقد مثّلوا زمنهم إذ اشتغلوا بدلالة القدر والثبات والمصادفة، لكن النهوض الحقيقي للقصة السورية جاء على يد كل من سعيد حورانيّة الذي مثّل اندفاعة الخمسينات الاجتهادية، لقد تخلي عن مرجعيّة جيل الرواد، وعلى مستوى الأساليب جاور بين السرد وأنماط أخرى، مثل المونتاج المُزدوّج، أو المونولوج، أو السرد الاستباقي والتقطيع الفنّيّ. قاص آخر كانت له بصمة مختلفة، كان سارتر قد تُرجم، فتأثر به القاص جورج سالم، الذي عكس الوجودية في قصصه بأساليب فنيّة، ومن الساحل السوري لمع نجم القاصّ عبد الله عبد، الذي أنجز واقعيّة نقديّة لافتة، وبدا واضحاً بأنّنا إزاء قاص استثنائيّ، سيكون رقماً صعباً في القصّ السوريّ، لكنّ الموت عاجله.

يتبع في صـ4

برز في الستينيات اسم زكريا تامر الذي وقف على توطّد دولة العسف، فحضر الرمز واستحضار التاريخ واعتماد الفانتازيا، بالإضافة إلى شاعرية غنائيّة ماتعة. بزغ من الساحل أيضاً نجم حيدر حيدر، الذي تنقّل بين القصّ والسرد الروائيّ، لكنّه لم يتخلّ عن القصّ، واشتغل هؤلاء القاصّين على تعدد الأصوات وتعدّد الضمائر وتهشيم الزمن الفيزيائيّ التقليديّ عبر التقطيع الفنّيّ، أو التداعي والتذكر، أو الخطف خلفاً، وستتأثّر الأجيال التالية عليهم بتجربتهم، لكنّ أحداً منّا لن يتجاوزهم

*** أنت خريج قسم جغرافيا، هذا التخصص كيف انعكس على الكتابة، كيف تنظر لمشروع التقسيم الذي تتعرض له سوريا اليوم؟**

- أسهمت دراستي لمادة جغرافيا في معرفتي بالعالم معرفة دقيقة، هذا يشمل المناخ والتربة والنبات والحيوان والتضاريس والبشر، ما سهّل عليّ الإحاطة بالبيئات المختلفة، وجعلني قادراً على الكتابة عن بيئات بعيدة عنّي، وجاءت كتابتي عن شخوصها دقيقة. بهذا المعنى وسّعت الجغرافيا دائرة المتخيّل في نصوصيّ، وأثرت قدرتي على الإقناع، ناهيك عن الإلمام بالجغرافيا السياسية، فإذا أردت أن أمثّل لهذا، سأقول إنّ الصراع العالميّ أتى على منظومة الدول الاشتراكية، وانهار الاتحاد السوفييتي، فتحوّل العالم إلى أحاديّة القطب، ومثّلت الولايات المتحدة لهذا القطب كزعيمة للمعسكر الرأسماليّ، فيما ثوى الآخرون في خانة الأطماع المُحتملة، وتذرّر العالم المُخلف " الثالث " مع تلاشي دور دول عدم الانحياز والحياد الإيجابيّ، لذلك عارضت مشروع تقسيم سوريا، بل تغيّر موقفي اللامبالي من فكرة الوحدة العربيّة فيما كان جمهورها يكفر بها في أعقاب الهزائم المتكرّرة لأقطارها، وذلك لإيماني العميق بأنّ الكيانات السياسيّة الصغيرة ليس لها مستقبل في هذا العالم.

*** الحرب، الثورة، كيف انعكس هذا على نصك، وإلى أي**

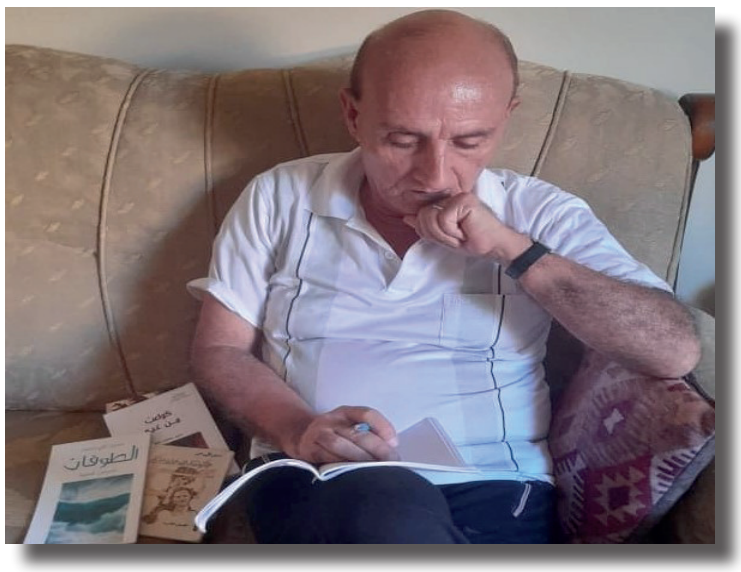

درجة شكّل افتراقاً في مجموعتك " مقتل عصافير الظهيرة " التي تميزت خيوطها بشخصيات مأزومة، تقترب من عالم تشيخوف؟ ما وظيفة الكتابة؟ هل تحاول أرشفة الألم؟ أين ترى نفسك من خلال سوريا ، أم من خلال الكرد؟ أين تضع نفسك وهل لكاتب مثلك أن يدير ظهره للثقافة العربية؟

- ككاتب وكإنسان أنا ضدّ الحرب، وأرى أنّها تحت مُختلف المُسمّيات قذرة، هذا هو تلخيص ما أردت أن أسرّ به إلى قارئي في قصة " مأساة ممّي آلان " لكنّني لم أذهب به إلى ساحات القتال، وجنّبته مناظر القتل والتشويه والدماء المُراقة والدمار. لقد أدنت الحرب من خلال انداحها على الأواصر الإنسانية وقطعها.

أمّا كيف تتحصّل الأقليات العرقيّة أو الدينيّة أو المذهبيّة على حقوقها، فإنّني أتبنّى العمل الحقوقي المدني والسياسيّ السلميّ مع فصل الدين عن الدولة لقطع الطريق على السياسيّ .

أنا كردي، أمّا الثقافة العربيّة فهي الثقافة الأم لأنّ أهلها اندرجوا في كيانات سياسيّة، ناهيك عن دور الإسلام في ذلك. لقد درست بالعربيّة، وتابعت الثقافة العالمية بوساطتها، لكنّي لست مع حظر اللغة الكردية أو الآشورية، بهذا نحافظ على خصوصية المجموعات العرقيّة، وتغتني الثقافات بالمثاقفة فتثرى، هذا يشمل الثقافة الأمّ أيضاً، طبعاً أنا أكتب بالعربيّة، فكيف أدير ظهري لها ولماذا؟

***من اختفاء العامل يونس التي اقتربت منها من عوالم وائل سواح وجميل حتمل وربما غيرهم، إلى أغنية منتهية بالرصاص و مأساة ممي آلان، هل بتنا داخل عالم تراجيدي؟ أين خيط الحب داخل المأساة؟ ما وظيفة الكتابة، هل تحاول أرشفة الألم؟**

- وظيفة الكتابة من وظيفة الفنّ، إنّها تستلهم قيم الحق والخير والجمال، أمّا لماذا جاءت قصة " مقتل عصافير الظهيرة " على شخصيّات مأزومة؟ لأنّ مساحة الفرح في حياتهم قليلة، لقد عاشوا على حافة الخطر والفقر والقهر، طبعاً أنّا لم أتعمّد فيها مقاربة تشيخوف، فالعبقريات لا تتكرّر كلّ يوم لكنّ الوقائع تشابهت بحدود.

أمّا أن أضع أرشفة الألم في مقاصدي فلا، لكنّ أقدار شخوصها كانت تراجيديّة، ثمّ إنّ مضامين القصة القصيرة تشي بذلك، هل لاحظت مثلاً بأنّ شخوصها جميعاً يقتلون؟ هذا سيذكّرنا بمقولة الشاعر ممدوح عدوان : "ليس من المنطقيّ أن نكتب عن الحب أو الأزاهير حينما يكون ثمّة بشر يُقتلون". حسناً، تعالوا لنفرز النصوص على مستوى العالم حتى نرى إن كانت الغلبة في صفّ الكوميديّ أم التراجيديّ؟ لن تكون النسبة مفاجئة، فنحن نقف بأوجاع الناس أو بمكامن القبح والجور التي مورست عليهم، لكنّنا نضع الجمال في مرامينا، هذا يقتضي العمل على اجتثاث القسوة والأنانية والجشع وإرساء القيم النبيلة، لهذا ارتبطت النبوّة خارج مُصطلحها الدينيّ بدور الكاتب، إنّه يستشفّ آفاق المستقبل، ولذلك يشتغل على مطلب يحسّ بأن ساعته أزفت.

*** إذا كانت الكتابة الملاذ الأخير لمن خان حسب جينيه، ماذا تعني لك، وكيف تجد عزلتك وملاذك؟**

- الكتابة فعل حياة لكنّها ليست بديلاً عنها، ولأنّها تفضح الأسرار في المتن فهي خيانة، لكنّها خيانة لا محيد عنها، لذلك نلوذ إليها حين يعز الملاذ. أنا لست مقاتلاً، بل أرفض أن تجرح إصبع طفل، لكنّ هذا حدث في الأزمة السوريّة، فلجأت إلى الكتابة، وعلى " السوشل ميديا / الفيس تحديداً " وجّهت رسالة لرئيس البلاد أدلي فيها بتصوّري لطبيعة الأزمة، وأرفع مُقترحات للحلّ بحسبي.

*** في البدء كان الحب ولم تكن الحرب، ماذا تقول عن الحب، وكيف تناولت المرأة في نصوصك المتعددة؟**

- يمارس الحب على نحو مُشوّه في مُجتمعاتنا الذكوريّة، إنّه علاقة تسلط تُجبّ عنه مفهوم الشراكة، في حين أنّه يقتضي التماثل لا الامتثال. حسنا، أليست الأنثى عندنا وعاء للمتعة في السرير، وطباخة في المطبخ، ومفرخة للأطفال؟ فأين الحبّ في علاقة لا تقيم لكيان المرأة أي اعتبار؟ لهذا تراجع ذكره في متوننا، فإذا ذكر كان الإخفاق مآله. لقد خسر الرجل سؤال الحبّ حين أنجز هيمنته على المرأة، وبالتالي سؤال السعادة، إنّنا ننتصر للحبّ لذلك أدنّا المنظومة الذهنيّة التي أفضت إلى إخفاقه، إنّنا - في النهاية - لسنا شهود زور.

*** الشعرية داخل نصوصك، تفتح باب النص على شغف القراءة، حدثني عن الأدب الشفاهي، الغناء، الموسيقى وانعكاسهما على نصك؟**

- الشعر ديوان المنطقة، لقد كُسرت السلسلة الثقافيّة فيها نتيجة الاحتكاك بالغرب، فغابت حلقاته باستثناء الشعر، لأنّ موسيقى الأخير جعلته قابلاً للحفظ شفاهاً، وصدّر الغرب القصّة والرواية والمسرح إلينا، ثمّ إنّنا أشرنا إلى أنّ الفنون والآداب تتبادل عناصر فيما بينها، القصة مثلاً والرواية استعارتا من الشعر لغته، هذا سيفضي بنا إلى حضور للموسيقى والغناء أيضاً، ناهيك عن حضور ما قبل الأدبي بتعبير رينيه ويليك، الموال والأهزوجة والأغنية والمثل إذا سيرفدون السرد القصصيّ والروائيّ على ألاّ تغيم أو تغيّب اللغة الشاعريّة الحدث.

***هل مضيت بروايتك "فوضى الفصول" إلى رصد الطفل ومآلات المكان من خلال كتابة أقرب للسيرة الذاتية؟**

- أساساً هناك ما يشبه الميثاق بين الرواية والسيرة الذاتية، فالسيرة تسهم في نسيج السرد الروائيّ على ألاّ تئد هذا السرد، في " فوضى الفصول " كنت أروم رصد أوضاع البلد بعد الاستقلال لأقف بتسعينيات القرن العشرين، إذ شهد البلد - بعد الاستقلال - نزوحاً كبيراً من الريف إلى المدينة، بطلي وطنيّ من غير أن يحوز على تعريف مُبسّط للوطن، متديّن لكنّه لا يرى ضيراً في شتم الإله أو تكفير الآخرين، ثمّ إنّه يمثّل لبداية التيار القوميّ، تستأثر فكرة العدالة الاجتماعية بلبّه، بيد أنّه لن يتحوّل إلى الشيوعية لأسباب أوردتها، إنّه وطني غائم.

ليس ثمّة سيرة ذاتيّة إذاً، لكنّني استعرت من ذاكرتي ما اختزنته عن القرية من وقائع وحالات، ثمّ اتكأت على شحنتي الوجدانيّة لأشكّل منها بطانة نفسيّة للطفل، فتوهّم الآخرون بأنّي كنت أكتب سيرة ذاتيّة، لقد أقنعتهم إذاً فتابعوا العمل بشغف.

*** تحيل القاري في عناوين قصصك إلى أبعاد سيميائية ومعرفية، تشير إلى النص ولاتكشف أسراره، هل يشكل العناوان عتبة للنص، كيف ترى عتبات الأشياء؟**

- ينهض العنوان على التشويق ليدفع القارىء إلى قراءة النص، إذاً فهو لا يكتفي بعلاقة الجوار، بل يشاكل المتن عبر علامات تذهب بنا إلى فضاءات النصّ دون أن تفضح أسراره ما سيد لعبة التشويق، بهذا المعنى يقوم العنوان بوظيفة سيميائيّة وأخرى معرفيّة، ويشكّل عتبة تفضي إلى القصة، إنّه تمهيد لقراءتها، لذلك أقوم على اختياره بأناة.

*** في مجموعتك القصصية "مأساة ممي آلان" يبدو أنك استلهمت الاسم من الإرث الخاص بمنطقة الجزيرة، ما الذي تعنيه لك شخصية "ممي آلان"؟**

- شخصيّة " ممّي آلان " هي الضحيّة في حرب عبثيّة، إنّه المواطن الأعزل لا حول ولا قوة، الاسم كرديّ، هو تصغير لمحمد، إذاً هو عربي أيضاً، كما أنّه معادل لعيسى المسيح عند السريان، هذا يقودنا إلى المنطقة الأكثر تنوعاً في سوريا، هنا سنجد العربيّ والكرديّ والسريانيّ والآثوري والأرمنيّ والشيشاني والشركسيّ، ولو أنّ ثقافاتها تفاعلت لكانت المنطقة الأكثر غنى بتراثها، إلاّ أنّ ضيق الهامش الديموقراطي انحدر بالمثاقفة فيما بينها إلى تخومها الدنيا مع الأسف.

المسألة ليست شخصيّة على المستوى الشخصيّ، قرأت المنتج الثقافي العربي من محمد اليحيائي في عُمان إلى الطاهر بن جلون في المغرب، وفي بيتنا انجيل إلى جانب القرآن، إضافة لتمثال صغير لأمنا مريم، لقد قرأت في التراثين الإسلاميّ والمسيحيّ، ونهلت بالفطرة والتربية والقراءة من التراث الكردي، لكنّ اللغة ستقف عائقاً عند التراثين الأرمنيّ والآثوريّ، لنتصوّر هذه الثقافات مترجمة، فأيّ ثراء، وأيّ مثاقفة؟

وبشكل شخصيّ كتبت عن الأشقاء الأرمن والسريان والآثوريين، كما كتبت عن الكرد، لكنّ الحصّة الأكبر كانت للأشقاء العرب، وسأكتب عن الأشقاء الدروز والعلويين والإسماعيليين، وسأحني هامتي لأهلنا من اليزيديين، إنّه النسيج الاجتماعيّ والدينيّ والاثني في سوريا، وأنا أحبّهم جميعاً، لا لأنّهم مثلي، بل أحبهم كما هم، لكنّ الأزمة وضعتنا أمام مقاطعات حادة ومُخيفة. السؤال الأهم اليوم هو : سوريا إلى أين؟

لقد انعكس انفتاحي على أنماط كتابتي فتنوّعت، وفي مطلق الأحوال يعرف قارئي ميلي إلى التجريب، لقد جربت أساليب القصّ كلها لأنّ هاجس الجدّة والفرادة بقي ملحّاً عليّ.

*** القراءات النقدية تشكل جزءاً من تجربتك، كيف انعكس هذا على كتابتك؟**

- مسألة النقد بدأت بالمصادفة، فلقد أعجب الصديق القاص غسان ونوس بتحليلي للقصص التي قرئت ذات أمسية، ثمّ دعاني إلى مهرجان القصة في طرطوس بصفة ناقد، فحققت حضوراً. لقد كنت أعدّ قراءاتي النقدية استكمالاً لأدواتي إلى أن وقفت يوماً بالمقابسة الستين لأبي حيان التوحيديّ. كان الجدل على أشدّه حول قصيدة النثر، فتساءلت كيف توصل الرجل إلى رأي سديد حول العلاقة بين الشعر والنثر قبل ألف سنة فيما نختصم نحن حولها اليوم؟ بدأت أنوّع في قراءاتي، لم أدّع يوماً بأنّي ناقد، لكنّني سأكتب مقالة نقدية دوريّة في الموقف الأدبيّ قرابة عام، كنت أقف فيها بقصص العدد السابق، فما عاد تجاهل علاقتي بالنقد مُستحسناً لئلاّ اتّهم بالتهرّب، وبالتأكيد فإنّ الناقد يطلّ برأسه حين أكتب نصّاً ليكاشفني بملاحظاته، لكنّه لا يربكني أو يعيقني عن الكتابة، فأنا أعرف كيف أطلق العنان للطفل المشاغب بداخلي، كما أعرف كيف أفضّ الاشتباك بينهما لمصلحة الطرفين.

للوجوه بقية تطاردني !!

عبقُ كوباني

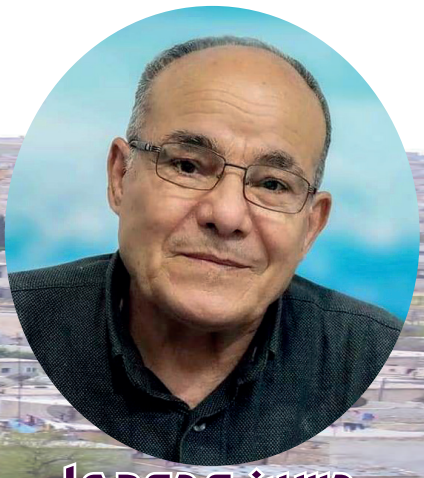

حسين محمد علي

أين المفرُّ من الوجوه التي تسدُّ عليّ الطريق ؟ وأنا مَن أخرجها من قمقم الذاكرة، وها هي تحاصرني ، وهي مطالبة بحقها في حياة أخرى في كلماتي .. ما في الذاكرة يصبح ملكية عامة حين نطلق سراحه إلى الشمس والهواء والبراري، وتعلن الوجوه عن حضورها البهي ، وترفض أن تكون نسياً منسيّاً تحت أوراق الروزنامات المتساقطة. مِن حقّ كلّ هؤلاء الذين كانوا فوق هذه الأرض وهذه الجغرافية أن يكون لهم حضورهم فوق هذه الأوراق .

مَن ينسى (**كلوس الأرمني**) أول مَن صنع بوظة الحليب كما نسمّيها (دوندرما) ، وهو يحمل وعاء البوظة الخاص المحكم، ويدور به في السوق والحواري، ويملأ البرشامات حليباً طيباً مثلجاً للكبار والصغار المتحلّقين حوله .

من ينسى (**أكوب أفندي**) في محاولته الناجحة لصنع المياه الغازية (الكازوز) بعد أن عرف سرّ صنعه من أقدم ماركة كازوز عرفناها ؛ وهي (ستيم وليلى).

من ينسى العمّ (**محي**) الملّيس السابق في الجيش الفرنسي، الرجل النشيط، وهو يحمل الجرّة النحاسية على ظهره يسكب شراب التمر هندي، وهو يلفظ الظاء سيناً (بوس بوس بارد).

من ينسى الإدلبي (**طرزان**)، حين اقتحم سوق البوظة فجأة ، ودخل في منافسة شرسة مع كلوس وبيت آشجي ؛ لصنع بوظة مثلجة، مستخدماً مهواة من الخشب ، حتى تصبح متجانسة متماسكة كالعجين، وإمعاناً في التحدي كان يعلّقها على كُلاَّبة (جنْكل)، ويتركها ليراها الناس، ويعطوها شهادة البراعة وهي تقاوم الذوبان !

من ينسى (**عبدو طالب البابي**) بائع الفواكه في السوق القديم ، وهو ينادي على أنواع فاكهته بعبارات موموسقة منغومة كقوله : أصابع البوبو يا خيار ! خوابي العسل يا تين ! ع السكينة يا جبس ! ويرفض تخفيض سعرها حتى لو تلفتْ وآلت إلى الكلاب !!

من ينسى صانعي المشبك اللذيذ الشفاف ؛ الحلوى الوحيدة المعروفة في بكور الصباحات على يد صُنّاعه البارعين الذين أصبحوا ماركات مسجلة في ذاكرتنا (نبو شيخ حسن وشيخو مشبكجي) والأخوة من بيت رجب وبخاصة (حنيفي) ؛ هذه الحلوى كان يتهافت عليها الريفيون بكل نهمٍ لدرجة أن زيارتهم إلى كوباني لا معنى لها ، إذا لم يتناولوا المشبك مشفوعاً بالخبز! باعة المشبك هؤلاء كانوا أيضاً يقدّمون نوعاً من الطبخ ؛ وهو المعلاق المطبوخ مع البندورة والبصل (جيكر) ، وهو وجبة طيبة والشهادة لله !إلى جانب الرز والفاصولياء ، والصحن لا يكلف أكثر من نصف ليرة في تلك الآونة حين كانت الليرة تعادل غراماً من الذهب !

من لا يذكر منا (**إيبكي بودله**«المجنون» الشيخ حيدري) في غاراته الجنونية على كوباني بين وقت وآخر ، هذا الطويل ذو العيون الزُّرق الزجاجية، كان يُقال : إنّ نوبات الجنون تصيبه في الربيع ! وفيما عدا ذلك فقد كان يلتزم قريته (بيرناصر) إنساناً سويّاً، كان لنا في البيت وجهاً مألوفاً؛ فهو من مخولة والدتي يأتي إلى والدي في دكانه، وكثيراً ما كان يودع عند والدي مبلغاً من المال برسم الأمانة ، وقد يغيب بعدها شهوراً ، ولكنه ما إنْ يعود يطلبه دون أن ينسى ، وهو ما عليه من مسّ ، ولله في خلقه شؤون ! وكانت عبارته التي يردّدها، وهو يذرع السوق جيئةً وذهاباً :

(ياهو! هاهو ! لقد اقتربت الساعة)!

من ينسى الإدلبي المسكين (**عبد الوهّاب**) ، أول مَن صنع الشعبيات(شغل أريحا)، وأول من عرّفنا على أكلة (الفلافل) وكذلك (الهريسة) ؛ هذا الرجل النحيف الضارب إلى الحمرة لم يكن له بيت، كان يقيم مع أخ له كسيح في الجامع القديم ، شقيقه الكسيح كان يجلس على الحصير - وهو من القش - يستعطف المارّة ببعض النقود.

من ينسى (**بركل بلّو**) حالة إنسانية أليمة ؛ فقد أصابه مسّ من الجنون بعد أن نال شهادة الكفاءة (بروفيه)، ومالها من اعتبار في تلك الأيام ! هو إلى هذه الساعة من كتابة هذه الأسطر يذرع سوق البلدة وشوارعها جيئةً وذهاباً دون كلل ، يهذي يتمتم ويملك قدرة على إطلاق عبارات ملغزة تثير العجب وتستدعي التفكير فيها، وقد أُوتي المسكين خطاً جميلاً أيضاً. أعتقد أنه كان ضحية لعلاجات السحر والشعوذة القاسية التي ما زالت آثارها باديةً على وجهه وصدغيه وصلعته؛ هي ندوب محفورة بقسوة بفعل الكي والحرق.

من ينسى (**بيس بيدو**) الأرمني قاطع التذاكر لرحلة الباص (بوسطة) إلى حلب، رجل مربوع قصير القامة أشيب ، ينتعل الحذاء الجلدي الأحمر المعروف في تلك الأيام ، في يده دفتر سميك يسجّل فيه أسماء الركّاب (بالأرمنية طبعاً) ، صوته المميز كان يصل إلى كل أطراف البلدة ، لا بل إلى قرية (مقتلة) ، وهو ينادي (حلب – حلب) ، وتقوم الدنيا ولا تقعد إذا أخطأ الراكب في الجلوس في مكان ليس له ، وغالباً كان تغيير مكان الراكب المسكين متعمّداً إذا جاء راكب من معارفه في اللحظة الأخيرة أو من موظفي الدولة المهابين ، فالمقاعد الأمامية تحجز لهم حتماً ، والراكب المسكين كان يقبل الأمر صاغراً ، بل يعتذر من (**بيس بيدو**) ؛ أي بيدو السيّئ ، وكان اسمه على مسمّى حقيقي ، وهذه الفظاظة الخلقية هي دأب مَن عمل في الكراجات .

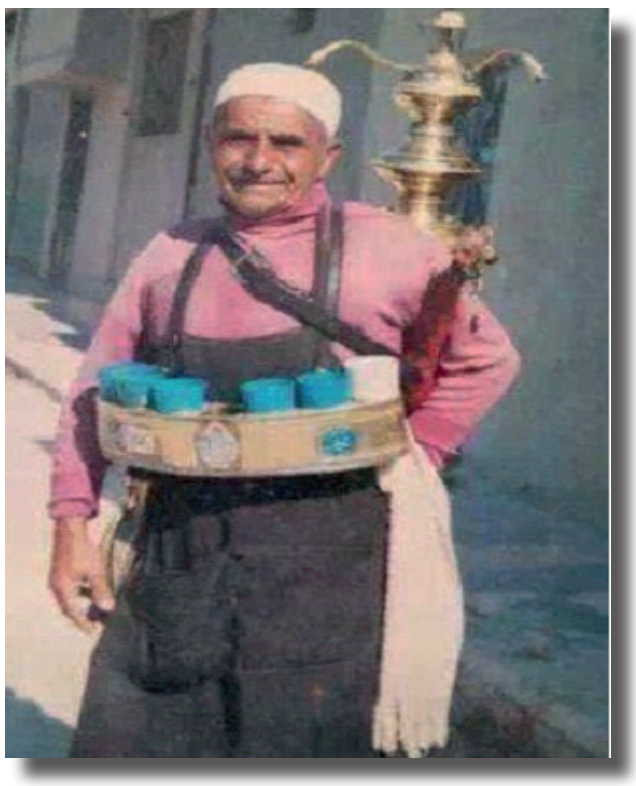

(العمّ محي) بائع التمر هندي

من ينسى (**حمو شوفير سيدي**) ببوسطته الهرمة ذات الأربعين مقعداً والمغطاة بعباءة من الغبار وشبابيكها المفتوحة على الشمس والمدى ؛ لأنّ معظمها كان من دون زجاج على مدار السنة ، عبر هذه الشبابيك كان الركاب يمجّون القيء على جانبي البوسطة في منظر مقزز.

هذا الباص كانت له رحلة يومية إلى (قراجي شيخان) ؛ إلى قرى عشيرة شيخان المتناثرة الضائعة كطيور القطا ، وقد أعجبني تعبير الشوايا العرب عن هذا النوع من الباصات (حوّام القرايا)، كانت رحلة هذا الباص تنتهي غروباً إلى قرية (مزغنة) ، لا أقل عن سبع ساعات من عناء السفر والعودة صباحاً باكراً من نفس المسار إلى كوباني ، مارّاً بعشرات القرى المرمية على مساحات الفقر والعطش والبياس والكرم والطيبة ، هذا الباص كان صندوقاً للعجائب أشبه بسفينة نوح فيه من كل زوجين اثنين ، في الداخل وعلى سطحه مشتريات من كل ما يخطر وما لا يخطر على البال من مواد تموينية وخضار ومستلزمات زراعية من رفوش ومعاول وأمشاط ومحاريث وأعمدة للسقوف وأكياس الخَيش ... في الطرق الترابية الوعرة كان الباص يشقُّ طريقه متكاسلاً، وخلفه سحبٌ من الغبار وفي الداخل مخلوقات ملَّ منها الصبر، وليس غريباً أن تجد إلى جانبك معزاة أو خاروفاً يشاركك في جزء من المقعد، وكان عليك أن تتحمل عطسات المعزاة المتحسّسة من الغبار! وأحياناً تحسّ ببرودة رذاذ على أذنيك قرب النافذة المكسورة ، سرعان ما تكتشف أنها من البول المنساب من الدواب الذي يسكن في الطابق الأعلى !

(**حمو الشوفير سيدي**) هو من قرية (طاشلوك فوقاني الشيخانية)، كان رجلاً صاحب نكت وسخرية ناعمة يتقبّلها منه أهل تلك القرى فكل قرية عنده لقبها ، يعاونه شاب يُدعى (خلّو) ، يشرف على صعود الركاب ونزولهم ، ويُؤمّن بعض التواصي للناس من البلدة ، كنت تسمع من (حمو) كلمات لاذعة بحق(خلّو) الذي كان يستسلم للنوم من عناء الطريق، وكثيراً ما كان ينطق بكلمة (هووش) على مسامع الباص الحرون ، حين لا يستجيب المكبح لدعسات قدمه فيطلق العنان للزمور المبحوح احتجاجاً !

فيا لها من أيام رائعة ومشاهد لا تنسى في رحلة الغرائب ! حين كنت أزور القرية (شيش وكرك وكوجكميت وكوكتبّة ودرب التعت) ، حيث أقام والدي حيناً من الوقت وقد ساءت به الأحوال.

يوم موتي

خليل جابو

أحب أن يكون يوم موتي أجمل من أيام حياتي، أن يكون الموت على هيئة هدية من الله على تلك السنوات التي قضيتها متنقلاً بين الهروب من المخابرات لأني أردت العيش بكرامتي، وبين الهروب من زوجتي لأنني تزوجت ونسيت أن أمارس طقوس واجباتي كرجل بيت.
أن أحضر لها الورود في المناسبات بدلاً من النشرات السياسية. أن أحضر لها طعاماً للمنزل بدلاً من الشعارات والأقوال. أن أتكلم معها عن المستقبل والواجبات، بدلاً من أن أحدثها عن موت الشاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث، كيف وضعت رأسها في الفرن بعد أن كان مليئاً بالغاز وتغلق كل المنافذ في المطبخ، فماتت بعد حياة مليئة بالحزن والمآسي ومحاولات الانتحار والمصحات النفسية وأيام أخيرة مليئة بالعقاقير المهدئة، كما يفكر أن يفعل بنفسه الشعب السوري الآن، لكن لا غاز لديهم.

أحب أن يكون يوم موتي له طقس خاص، غير طقوس أيام حياتي. أن أستيقظ في الصباح الباكر كغير عادتي، أشرب قهوتي ببطء شديد وأنفث من سجائري كما لو أنني عاشق سعيد، أن أقوم بترتيب شَعري بعد الحمام وحلاقة ذقني، أنثر العطور فوق لباسي بعد أن ألبس أجمل وأفخر ما لدي. بعدها أحثّ خطاي واثقاً من نفسي كما لو أن المخابرات لا تبحث عني، أجلس في مقهى برجوازي وأحاول ترتيب كلمات مخملية تشبه تلك التي أشاهدها في الأفلام، كأن أقول للنادل «بونجور» بدلاً من «صباح الخير». أن أقول له «فنجان قهوة مع حليب» بدلاً من «ركوة قهوة». أن أنسى أنني ملاحق، وأنسى أني زرت السجون والمعتقلات. وأحاول أن أتذكر جمل لطيفة تليق برجل على أبواب الأربعين وهو يبحث عن موت جميل في دهاليز هذا الوطن المنسي. أضع ساقاً على ساق وأتناول هاتفي لأتحدث مع أمي عن مشروع إجازتي على شواطئ باريس ومدريد وهاواي، أبتسم لصوتها الملائكي وأغلق المكالمة. أتناول صحيفة أجنبية من رفوف المقهى فأبحث عن خبر لا علاقة له بالرئيس ومنجزاته في وطني، لا أريد أن أعكر صفاء يومي بوجهه البهيم كما كان يحدث كل يوم. بعدها أذهب إلى مطعم آخر لأتناول الطعام مع أصدقائي، أطلب وجبة سيمون فيميه مع كأس نبيذ أبيض فرنسي فاخر من ماركة شاردوني. أتناول وجبتي بهدوء كما لو أنني من مواليد جنيف أو باريس، أطلب الحلويات بعدها وأنسى إبريق الشاي. بعدها أعود للمنزل لأسرق قيلولة من يومي الأخير في هذه الحياة. أستيقظ بعد الظهر على قبلة من حبيبة لا وجود لها، تلبس فستاناً أحمر، يتدلى شعرها المعتم على كتفها وهي منحنية، أضع يدي على وجهها وأبتسم وأقف واثقاً من نفسي كما لو أنني قبطان في مركب حياتها.

أحب أن يكون هذا اليوم كالأحلام اللازوردية حين تتسلل إلى أحلامنا وتجعلها جميلة وقيّمة، أتباطأ في كل شيء كما لو أنني كنت فاتحاً في التاريخ، والبشر ستخرج في جنازتي وهي تبكي وتصرخ بأن الحياة خسرت رمزاً من رموز الكون. أجلس على طاولة العشاء، أتناول وجبتي الأخيرة ببطء أيضاً، أحتسي آخر قدحٍ في حياتي، أبتسم ابتسامة المنتصر في الحرب وأعود لسريري. أتمدد وأبتسم وأغمض عيني والنية بأن أنام، لكن يأتي عزرائيل ليقبض روحي. بعدها بلحظات وأنا ممدد على السرير جثة هامدة، أرى زوجتي وهي تدخل إلى الغرفة، تلبس فستان نومها، وتنثر العطر على عنقها وتمشي ببطء كي لا توقظني، تتمدد بجانبي وتمسك بيدي، تقول لي بصوت بالكاد يسمع: «لم يدك باردة؟!»، لكنني ميت ولا قدرة لي على الحراك والكلام، تكرر السؤال بصوت أعلى من قبل «لكنني ميت يا حبيبتي، حاولي أن تدركي ذلك قبل أن تتفسخ جثتي وتصبح جيفة، فأنا لا أملك أن أبقى هكذا خارج القبر لساعات، يجب عليكم دفني في أسرع وقت، لأن جسدي منهك من السياط و قلة الطعام، جسدي المحشي بالشعارات والأقاويل التي لا تفيد بنسبة ضئيلة جداً من الفيتامينات لا قدرة له على البقاء هكذا، أدفنوني»، أحاول أن يتجاوز صوتي حدود حنجرتي، لكن بلا جدوى، فأنا ميت، أدفنوني.

حين تجدني زوجتي بلا حراك، تجحظ عيناها بشدة وتتكأ على مرفقها بذعر موجهة رأسي نحوها وهي تحاول أن تهزني كي أستيقظ، لربما كنت مريضاً أو أصابني دوار أو شيء جعلت يدي باردة. لكنني ميت يا حبيبتي، أدركي ذلك قبل أن تفوح رائحة التملق عن الرئيس من جسدي، قبل أن تطفو كلمات الموالاة والأدعية الكاذبة على جسدي وتغرق هذا البيت بخيبة. تحاول مراراً وهي تقول لي: «استيقظ»، لكن أنا ميت وكيف لي أن أصحو؟ أنا ميت هيا أدركي ذلك وأرسلي خلف أي رجل دين يقرأ فوق رأسي آية من كتاب سماوي لأواجه ربي وأقول له إن هناك ديانة ما استقبلت جثتي وليس كما كانوا يقولون جنود وزعران الرئيس بأنه لن أجد رجل دين يقرأ على جثتي لأنني شتمت الرئيس وانضممت لحزب سري مناهض له.

أنا ميت، هيا أدركي ذلك ولا تنسي أن توصي لي بكفن، ضعوني في القبر ولا تستغفروا لي أو أن تطلبوا وتتمنّوا أن أسكن الجنة، لأنني بلا شك سأدخلها وسيغفر الله لي خطاياي لأنني من وطن احتملت العيش فيه تحت سقف الرئيس وزعرانه. احتملت فيه الوقوف ساعات على طوابير المخابز وأنا أحاول أن أحصل على رغيف خبز لعائلتي وأدعو للرئيس بالعمر المديد وهو يسرق من خيرات وطني، أن أتحسر على ساعة نور في عصر التطور وهو جالس في قصره الدافئ، أن أرسل أولادي إلى المدرسة وهم ليسوا جائعون وأولاده يركبون المرسيدس والتيسلا والليموزين. احتملت فيه صعود وهبوط الدولار وراتبي كما لو أنه جالس على كرسي في متحف لعرض الأثريات التاريخية، والرئيس جالس على كرسي من ذهب، ويحاول جعله إلى كرسي من ألماس, احتملت العيش في وطن يشتمني فيه عنصر المخابرات وأشكره بعدها لأنه لم يزلزل جسدي، احتملت العيش في البرد والنفط والغاز يتسرب للخارج ليزداد من رصيد الرئيس. احتملت العيش في وطن أقطّع أوراق الشجر لأطعم أولادي وأقول لهم: «اشكروا ربكم لأننا نعيش في عهد الرئيس».
غسل وجهي كل صباح بالتراب متيمماً لأننا لا نملك الماء في دولة غنية بكل شيء. لا تستغفروا لي، كل ما عليكم فعله أن تضعوني في القبر وتكتبوا على الكفن:
«سوري».

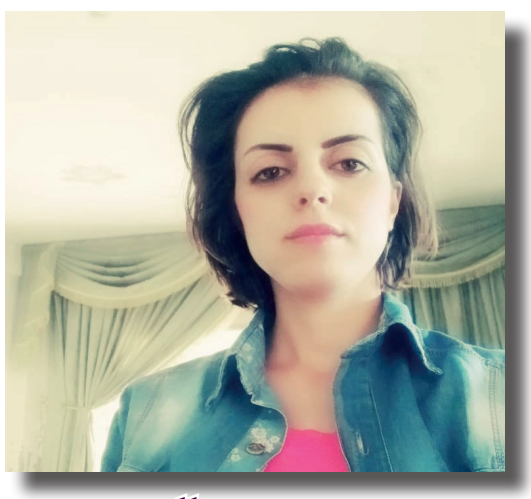

م.مرح صالح

بيمول

ارتداد

على طريقِ المقصلةِ؛ انتشى عِصْياني، أشاروا بأصابعهم العشرةِ لمواضع خطيئتي، عندَ آخرِ فتقٍ رسموهُ بخريطتي... تدَلّى فوقهم حبلُ نجاتي.

شكوى

كلَّما استطالَ لساني؛ عقدوا اجتماعاً طارئاً... حتى وصلَ السماءَ السابعةَ، استوطنَتهم الهواجسُ، ابتسمَ الإلهُ... تساقطَتْ الرحمةُ على رؤوسِ الفقراءِ.

فاقَة

على محرابِ جوعي؛ خانني حيائي.. بعْتُ جسدي في سوقِ النخَّاسةِ، تمايلَ الخصرُ بلهفةٍ في جلساتِ السَكارى، صفقتي الأخيرةُ لاقتناءِ كوخٍ فاخرٍ أعادتني للحياةِ بكليةٍ واحدةٍ.

تلَبُّس

كلَّما ضحكْتُ، تُجْهشُ روحي بالبكاءِ، يُرقيني مُتلهّفاً بماءٍ وطينٍ... استعرُ بينَ يديهِ حدَّ الانطفاءِ، في المرَّةِ الأخيرةِ عثرنا عليهِ مُتقمِّصاً ثوبَ عِفَّتي.

بيتُ العنكبوتِ

ترعرْتُ في قوقعةٍ لجدّي، لاعبْتُ ضفائرَ الدمى، سحبَنِي بظلِّهِ الليلكيّ، قَدَّ قميصي، صوّبوا نَحْوي كلَّ إصبعٍ، إلى اليوم تستطيلُ أيديهَم ويكبرُ بي عفافُ (مريم).

عمامةٌ بحجم كفن

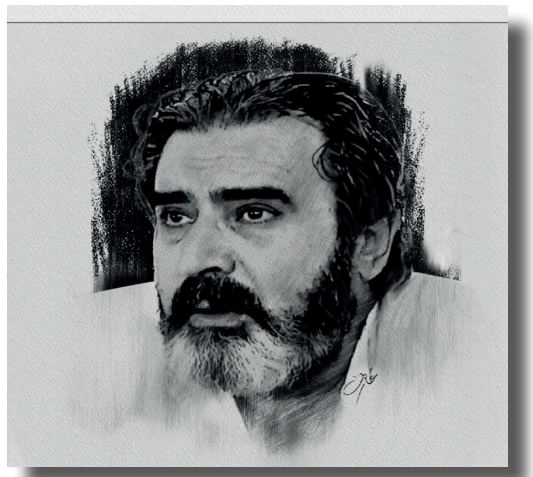

أيمن ناصر

عصر يوم جمعة (سكن المدرسين المغتربين في ناحية حوث من أعمال ريف صنعاء اليمن)

فاجأني بسمرته الغامقة وبياض أسنانه المتراصّة حين دفع باب الحجرة ودخل. بريق عينيه أرغمني على رفع رأسي لأتأمّل وجهه المنحوت بعناية إلهية لا ترقى إليها يد مخلوق. ما كان لأحد أن يتجاوز طوله الفارع وضخامة جسده كمارِدٍ قُدَّ من ليل. فلولا انحناءة خفيفة من رأسه لاصطدمت عمامته بسقف الباب.

نصف النهار كان قد مضى ونصف النافذة ورائي مغلق، وما زلتُ متربعاً فوق سريري مسنداً ظهري للشمس والريح. أتعثر بغيم ذكرياتي. أكتب رسائل بعضها للأهل وبعضها الآخر ليست لأحد، أو ربما أكتبها لامرأة جميلة مفعمة بالسحر وتعاويذ الخلود تركض بين دمي واشتعال السطور، انسلّت لتوّها من على أرصفة الحروف، حينما اقتحم هذا الغريب المكان كطائر خانته الرياح وأثقله البرد والتهطال.

اقتعدَ كرسياً خشبياً جرّه من تحت الطاولة ورمى بجانبه حقيبة سوداء. على الأغلب هي للاستخدام الشخصي. حيّاني بتثاقل قائلاً: مرحباً.

أظنّه أرادها تحية مختصرة تدلّ على تعب ونفاد صبر.

قلت: مرحباً.

تعمّدتُ الردّ بالكلمة ذاتها بلا سبب، مع أني أردُّ التحية بأحسن منها. لم يترك ذلك أثراً عنده. وما كان ينتظر الردّ أصلاً، فقد تشاغل بعمامته ثم نظر إلى المكتبة وإلى اللوحات المعلقة.

لملمتُ أوراقي المثقلة بحزني. أودعتها تحت الوسادة، ثم هيّأت نفسي للا شيء. نفضت رأسي مشدوهاً كأنّما العقل في دُوار، فثمّةَ ضوءٌ شديدٌ نفذ إلى دماغي وضغط على ركن الحواس، أشعل التحفّزَ في عينيّ لهذا العملاق الغريب. تأمَّلته ملياً. تبلَّلَ جبينه بنثرات من العرق والمطر. وقورةٌ ومليحةٌ ملامحه الأفريقية. سُمرة وجهه الداكنة أدهشتني وسط بياض الغرفة المندّاة بضوء النهار، لم أر في حياتي سُمرة جميلة توازيها من قبل، تمتزج بلون الحناء والصلصال المشوي فتعطي انطباعاً يشبه لون الكستناء. تجاوزَ الخمسين بعينين قاسيتين مفعمتين بالحيوية، واستقامة مذهلة لأنف جميل واسع الفتحتين، وفم غامض دقيق يعلوه شارب مقصوص الحواف أشيب، وكتفين عريضتين تشهلان ثوبه الأبيض كجناحين يفردهما فوق جسدٍ ضخم أنَّ من تحته الكرسي الخشبي العريض. تعتليه عمامة بيضاء ضاق بها رأسه الأشيب. أثقلها الغبار وأوحلها المطر، فمالت قليلاً إلى الخلف. غدا أشبه بمقدّمة سفينة نجت لتوّها من الغرق.

لم تهدأ يدي فوق فخذي ترسم على ورقٍ من ضباب الذاكرة كل نأمة من ملامحه المنحوتة، أختزنها تحت لحاف عقلي الباطن. هي عادة قديمة منذ الطفولة أمارسها كلما لمحتُ وجهاً مميزاً، نبيلاً تجلّله الهيبة والوقار، أو وجهاً غريباً جميلاً يدثره الحلم كوجه بحار. أرسمه في مخيلتي خشية ألا أراه ثانية. وهذا ما يحدث عادة للوجوه التي أرسمها على هذا النوع من الورق.

رحّبتُ بضيفي العملاق ثانية، مفسحاً له مجال الحديث عن سبب اقتحامه خلوتي بهذا الشكل. ليست المصادفة ما دفعته للدخول بالتأكيد- التقت نظراتنا فابتسمت له، أردت أن أكون بشوشاً. لا، لم أرد، هو طبعي الذي نشأت عليه في استقبال الآخرين. أو لعلّي أردت أن أقدّر أيّ نوع من الرجال هو؟ فخطوط وجهه الصّلبة ما أحسستها غريبة عني. شعرت أنها تسكن ذاكرتي، لا أدري كيف ومتى؟ ربما في رواية ما! سبّابته اليمنى تختزن قوة كامنة وتوتراً بادياً، فما هدأتْ تنقر الطاولة بإيقاع رتيب. خلته للحظات نسي وجودي أمامه. إلا أنّه حكَّ لحيته الشيباء التي كانت تمنح وجهه الأسمر، كدت أقول الأسود، خشونة ومهابة. صوّب عينيه كعيني سمكة في وجهي. ثم قدّم نفسه بهدوءٍ من ناء بحمل الخطايا وأضناه الترحال: أنا سيِّد عثمان الغانم، مدرِّس اللغة الإنجليزية الجديد.

كان صوته يهطل بطيئاً يختلط بحروف مثلّمة أثقلها المطر. دمدمت لنفسي "هو أنت إذن المدرّس المنتظر". لم يقل إنه سوداني، مدركاً أنّ لونه المميز، وجلابية بيضاء منـزوعة الياقة، فضفاضة الأكمام، وعمامة بحجم كفن، تكفي للدلالة على ذلك. نزلتُ عن السرير مقترباً منه.. وقفَ مرحِّباً بي.

رفعت رأسي، كنت مضطراً أن أرفع رأسي لأحدّثه، وأرى تقاسيم وجهه، ولون الزيتون في عينيه. رغم أن طولي وحجمي لا بأس بهما قياساً لمن هم في مثل سنّي في شرقنا المتوسط.

لأول مرة أرى سودانياً له عينان بلونٍ أخضر نضر. بدت نظراته وقسمات وجهه أقلّ قسوة من المرة الأولى! لعله انعكاس الضوء. مازال يترقب ردّ فعلي مثل أصيص خزفي فاجأته الريح وهو على شرفة من فرح.

رحّبتُ به: أهلاً بك أستاذ سيد.. لم يبدِ أيّ حركة تدل على أنه سمعني، فشككت أن صوتي غادر حنجرتي. كان منشغلاً بألمٍ ما في رأسه.

أعدتُ الترحاب بصوت أعلى: أهلاً أستاذ سيد.

ارتجفت عضلة تحت عينه اليسرى. لعلها ارتعاشة قلقٍ أو توتر. تساءلت في سري إن كان قد بدر مني ما يسيء؟ لعلّي رفعت صوتي أكثر مما يجب!

ضغط على صدغيه بأصابعه وقال:

- أهلاً أهلاً. أخبَروني أن ألتحق بسكن المدرسين في غرفة المدرّس الحمداني. هل أخطأتُ العنوان؟

- لا، لم تخطئ. فقد آنستَ المكان.

- أفهم من ترحابك، أنك تـقبلني شريكاً في غرفتك؟

قلت: شواطئ الشام تتسع لكل سفن الأحبة، حيّاك الله يا رجل وحيّا الرياح التي أرسلتك.

- وحيّاك، وحيّاك! شكراً لك أستاذ.....

- عفواً لم أُعرّفك بنفسي أنا حمزة الحمداني من شرق المتوسط أحد رعايا مدينة نسيبها الرشيد على شاطئ الفرات.

شدَّ قامته كسنديانة شامخة، مصافحاً باليمنى ومطبطباً يده اليسرى على كتفي الأيمن حسب الطريقة السودانية في التحية. لم أستطع مجاراته بالطريقة ذاتها، كان كتفه قريباً من السقف. كان عملاقاً.

ضحكتْ ملامحه الجادة حين اكتشف ضآلة حجمي في ظل حجمه الوارف الظلال.

قال: تشرفنا أستاذ حمزة، وأعتذر عن دخولي غرفتك بهذا الشكل عليك الله تسامحني، فأنا...

قاطعته بلطف وشددتُ على يده بقوة، أقصد حاولت أن أشدّ على يده بقوة، فكفي ضاعت في كفه:

ــ لا عليك أستاذ سيد. استرح، فلا حرج على من يركب الريح.

ــ الريح؟ وهل أبقت الريح مني سوى هذا الزول الذي أمامك.

- إذا كان هذا ما تبقى منك، فهل كنت جبلاً مثلاً؟

أعجبته فكرة الجبل. أخذ نفَساً عميقاً، ونفخ صدره باستعراض لا يخلو من مرح، ثم قال:

- آ... زول، وهل تراني غير ذلك؟

قلت مخففاً من وطأة المباهاة التي غمرته:

- لا أراك غير ذلك. ولَوو! أنت أكبر من جبل، ولكن يبدو أن لكلٍ منا ريحاً قذفته إلى أرض غير أرضه، ورياحك يا أستاذ جبل عاتية حتى استطاعت حملك إلى أرض اليمن.

ابتسم وردّ اللسعة بالمرح ذاته: ولا بدَّ أنَّ الرشيد نسي أن يترك على شواطئ مدينته سفناً تليق بربَّان مثلك كيلا يهاجر ويعمل ملاحاً في سفن غيره!

كان ردّه قاسٍ وجارح. أيقظ في نفسي حرائقَ جرحٍ ليس كأيّ جرح، نهايات الشوك في كلماتِه آلمَتني، وأشعلت حطب روحي. ذكّرتني سبب هجرتي القسرية إلى اليمن.

- عم سيد! تراك غرزت أصابعك المالحة في قلبي!

اعتذرَ بصدق حاسّاً بالذنب: آسف حمزة، بجد أنا آسف، كنت أمازحك ليس أكثر، لا أدري كيف أتعامل معك وكيف أخاطبك. "دَا حين" أبوس راسك.

- أستغفر الله يا رجل، ولا يهمك، أنا مَن بدأ النـزال، ولا بد من الغبار. استرح أرجوك. منعته بلطف من تقبيل رأسي، وأحسست بالحرج من اعتذاره الشديد. ثم جلس صامتاً متربعاً كشجرة بكامل أغصانها. نظر إليّ ثم شرد بعيداً عبر النافذة. خلته يؤنب نفسه على يده المالحة تلك. لكنّه ضغط بأصابعه على صدغيه ثانية.

لا بدّ أنّ الألم الذي انتابه قبل قليل عاوده ثانية. هداً ثم أخرج غليوناً ملأه تبغاً ذا رائحة عَطرة، وأشعله بعود ثقاب أبقاه مشتعلاً للحظات. أعاد الحركة أكثر من مرة ليتأكد من اشتعال التبغ. امتلأ المكان برائحة لذيذة. تصادف في اللحظة ذاتها أنّ ألماً فظيعاً كان يسيل في مؤخرة رأسي. فقد مضى وقت طويل وأنا أرتكب حماقة كتابة الرسائل، وظهري مشرع لقوافل من البرد القارص تدق عنقي. وهي عادة أخرى اعتدتها في مثل هذا اليوم من أيام الجُمع في ناحية "حوث".

أبدؤها بعد الانتهاء من طقس غسيل الثياب ونشرها على الحبال في الساحة الخلفية للسكن. ثم الاستحمام والتطيب وارتداء الجلابية الخاصة بصلاة الجمعة.

كان رأسه المدوّر مع لحيته البيضاء وعمامته المندَاة برذاذ السماء وغليونه المشرع تُشكّل تحفة أثرية تغري بالاقتناء فيما لو كانت في "غاليري للأنتيكا". عبثَ بقلم فحم تركتُه صباح اليوم على الطاولة، ثم سألني بثقة العارف راغباً في تغيير طريقة النزال وهو يتأمل المكان:

ــ حمزة الحمداني! أيّ الحمدانيين تقصد؟ التغالبة؟ سيف الدولة أمير حلب! وأبو فراس الشاعر، أَم..؟

فاجأني سؤاله المبطن بالشك! فرددتُ بالمباهاة ذاتها التي غمرته قبل قليل:

ــ أَمّاذا! وهل تراني غير ذلك يا عم سيد؟ دفع عمامته للخلف، وحكّ جلدة رأسه، فانكشف كمّه الواسع عن عضدٍ أسود كجذع سروة محترق.

أظنه تفاجأ بالنديّة في ردّي. فقد رفع حاجبيه مستغرباً وقال: على هونك يا زول! لا تأخذك الحمية التغلبية، لقد كلّمَني "الحوثي" كثيراً عنك فأثار فضولي لمعرفة ما عندك. هذا كل ما في الأمر.

كنت أعلم أن كلمة زول تعني رجلاً، ولكنّي ما كنت أرتاح لها حين كنت أنادى بها من زملاء سودانيين في صنعاء، أُحسُّ أنّها أقرب إلى كلمة شبح من كلمة رجل. يبدو أنّي سأعتاد عليها منذ اليوم.

ملأتُ الركوة ماءً أهيئُ له قهوة الترحاب. أرحتُها على بابور الغاز وتساءلت في سرّي، تُرى هل يمتلك كتباً في حقائبه؟ أمهووس بالقراءة؟ بالكتابة؟ هل يرسم؟ هل ينظم الشعر؟ هل.. وهل؟ والسؤال الأهم، أين عفشه وحقائبه؟ حرّكتُ القهوة وآثرت الصمت والتذكر للحظات. لا أدري لم راودني إحساس من يبدّد وقته في انتظار أن يحدث ما لن يحدث. فقد أطفأ هو غليونه، وأشعلت أنا... ذاكرتي.

الغرفة 22: الجمع بين أكثر من لون أدبي

شاهيناز الفقي

يقول الناقد الفرنسي كوركوف "تستطيع الرواية البوليسية أن تجيب سؤال القارئ هل لحياتنا معنى في خواء العالم الحديث".
ورغم أن أشهر كاتبة لأدب الجريمة والروايات البوليسية كانت امرأة وهي أجاثا كريستي التي كتبت حوالي 66 رواية بوليسية، وصنفتها موسوعة جينيس للأرقام القياسية أنها الروائية الأفضل بيعا على الإطلاق، نلاحظ غياب الأدب البوليسي أو أدب الجريمة في عالمنا العربي بصفة عامة وللكاتبات بصفة خاصة نتيجة لعوامل عدة منها انشغال معظم الكاتبات بقضاياهن الشخصية والمجتمعية والتفافهن حول ذاتهن في معظم ما يكتبونه، والنظرة لأدب الجريمة في عالمنا العربي أنه صنف من الأدب يحتل مرتبة ثانية ويعرف أنه أدب للتسلية.
معظم الأعمال الأدبية البوليسية كانت في الأصل توجه لفئة الفتيان مثل أعمال الكاتب نبيل فاروق وقد اختلط فيها الأدب البوليسي بأدب الجاسوسية والخيال العلمي، إلا أن هذه النوعية من الأدب مازالت تجذب العديد من القراء في مختلف ثقافتهم وفئاتهم العمرية.
الغرفة 22 للكاتبة إيناس سيد جعيتم رواية تجمع بين أكثر من لون أدبي، منها أدب الخيال العلمي ولبوليسي والنفسي حيث تقوم فكرة الرواية على قيام الدكتور ناجي ببحث علمي يكون له نتائج هامة وتغيير في موازين القوة في منطقة الشرق الأوسط، يتم إيداع دكتور ناجي مصحة نفسية عن طريق إيهامه أنه مريض نفسي للاستيلاء على نتائج البحث.
من خلال حالة من المزج بين الأدب البوليسي وأدب الجاسوسية بالخيال العلمي تكمل إيناس جعيتم روايتها الغرفة 22، وتتابع الأحداث في جو من التشويق والإثارة حتى نهاية الرواية نكتشف من خلال الأحداث حقائق وعلاقات متشابكة وجرائم قتل وفساد رجال المال والسياسة.
عنوان الرواية يوحي بحالة من الغموض، الغرفة 22يثير العديد من التساؤلات في ذهن القارئ، ويفتح المجال لتفسيرات وخيالات متعددة عن الغرفة ورقمها والتي لا نعرف في أي مكان تقع ربما فندق ربما مستشفى والعديد من التخمينات.
الغلاف جيد يتناسب مع الحالة العامة للرواية، الباب الموارب يثير الشك والخوف ربما أكثر من الباب المغلق، الموارية تعطي حالة من التوجس وزاوية ضيقة للرؤية وجزء من الحقيقة.
تتميز كتابة إيناس سيد جعيتم في هذه الرواية بما يطلق عليه براعة الاستهلال، فقد استطاعت ان تجذب انتباه القارئ من السطر الأول، امتازت عباراتها الأولى بلغة أدبية راقية لوصف حالة الجو الذي تدور فيه الأحداث، " نهار بلا شمس.. وسماء احتجبت خلف ركام من سحب رمادية اللون وطقس شديد البرودة يخنق بيديه كل نسمة هواء تتوق للحظة دفء" ورغم أن الاتجاه الحديث في الأدب يسير نحو الحدث مباشرة والبعد عن الوصف لكن استطاعت إيناس بلغتها الأدبية الرصينة وعبارتها التي توحي بالغموض أن تدفع القارئ لاستكمال القراءة.
إيناس سيد جعيتم لديها قدرة على أن تحكم قبضتها على القارئ خاصة أن مصحة نفسية مسرح الأحداث للرواية يعج بالعديد من الأمراض التي تطرقت إليها الكاتبة بشكل سريع بالإضافة لجرائم القتل والاختفاء، يمسك القارئ بخيط ليكتشف أنه في الطريق الخطأ ليعيد اكتشاف الأحداث مرة أخرى في فصول متتالية حتى نهاية الرواية.

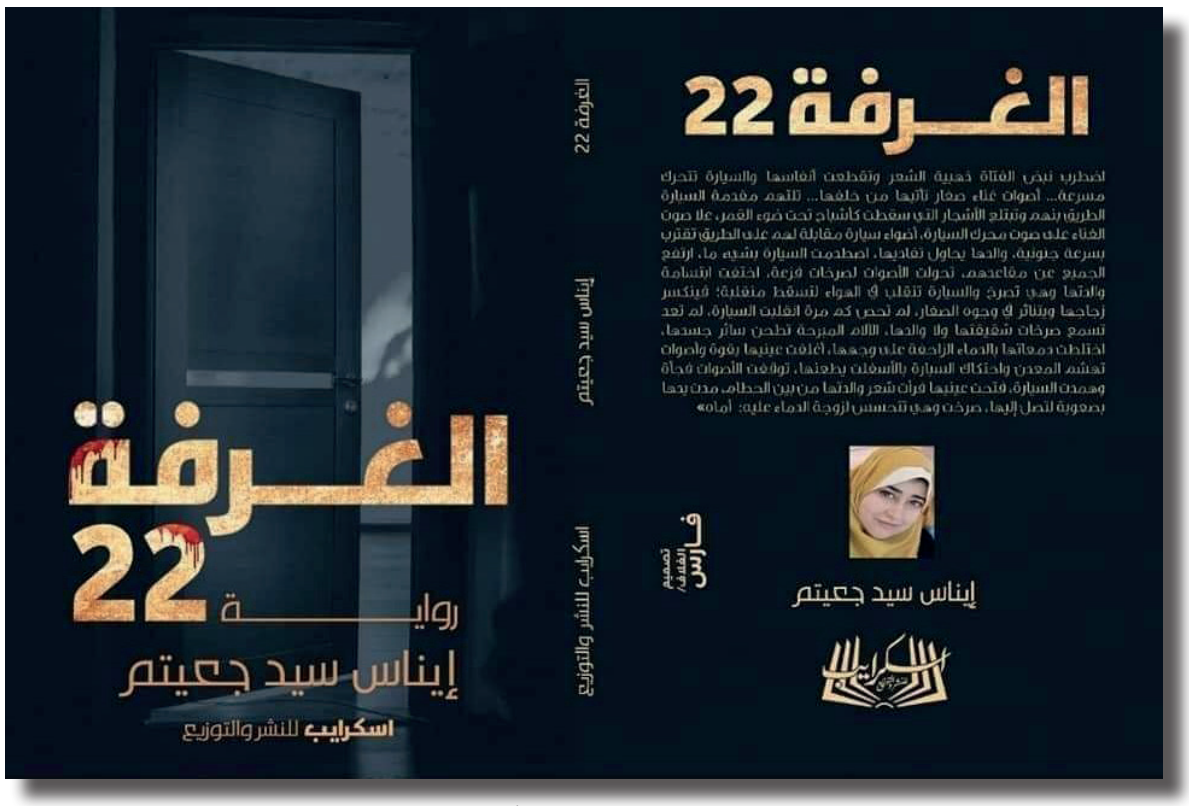

الشخصيات عند إيناس هي شخصيات تحمل بداخلها عقدا ومشاكل نفسية وفساد وضعف إنساني ولكن ربما كانت تحتاج الكاتبة للتأني في التطرق للشخصيات الرئيسية ليتعرف عليها القارئ بشكل أعمق، مما يزيد من التحام القارئ مع شخصيات الرواية وتفاعله معها.
أسلوب السرد مشوق يعتمد على الإثارة ولكن دون التخلي عن اللغة الراقية، تعرض لأكثر من مرض نفسي في الرواية وقد تطلب الأمر منها البحث والدراسة لتتحدث عن أعراض الاكتئاب والفصام والهلاوس وكلبتومانيا (هوس السرقة)، وكل مرض من هذه الأمراض النفسية يتميز بأعراض مختلفة وأسلوب للعلاج مختلف وقد استطاعت إيناس من خلال شخصية دكتور محمود التوائم مع كل حالة بشكل جيد جدا.
وكما بدأت إيناسسيد جعيتم روايتها من الغلاف والباب الموارب فقد انهت روايتها أيضا بالباب الموارب على العديد من الأسئلة في ذهن القارئ عن الطريق الذي يسير فيه الطبيب محمود مع نيرة، عن السيارة التي تتبعهم، عن مصير البحث والدكتور ناجي وتساؤلات تحتمل العديد من الإجابات.

الرواية صدرت عن دار اسكرايب للنشر والتوزيع

حفل تاريخ العائلة البدرخانية وما يزال بأسماء ساهمت في زركشة التّاريخ الكردي بأنوار الخلود والدّيمومة على مدار الأزمان والدّهور. إن كان عطاء رجالها لا ينضب فإنّ المرأة البدرخانية أكدت أنّها لا تقلّ عطاء ونضالاً وتفوّقاً عن رجالها، ويكفيها فخراً ومجداً روشن بدرخان الكاتبة والشّاعرة والمربية والمعلّمة.

ولدت الأميرة روشن في 11 تموز من عام 1909م في مدينة قيصري من أب وأمّ بدرخانيين، فهي ابنة صالح بدرخان وسامية بدري بدرخان. بعد أن نفيت عائلتها اضطرت إلى الإستقرار في دمشق برفقةِ والدها في عام 1913. اقترنت في عام 1935م بابن عمّها جلادت بدرخان، واستمرّ زواجهما حتى عام 1953 حيث توفى جلادت، وأنجبا سينم خان وجمشيد؛ يُذكر أنها كانت قبل ذلك متزوجة من عمر مالك حمدي وخلّفت منه ابنتان هما أسيمة ونجوى، وابنتها نجوى توفت وهي في عامها الأول، ولكنها انفصلت عن زوجها الأول في عام 1933م.

مراحل تعليمها:

أكملت دراستها في مدارس دمشق، وانتسبت إلى دار المعلمات عام 1923م، وبذلك باتت من أوائل المعلمات السوريات والمعلمات الكرد. رحلت مع والدتها إلى الأردن، ومارست مهنتها في التعليم، وصارت معلمة في مدينة عمان والكرك ما بين 1925 و1928م، ثم عادت إلى دمشق ودرّست اللغة الفرنسية في مدرسة اللاييك. تم تعيينها فيما بعد كمعلمة في مدارس دمشق مثل خولة بنت الأزور وليلى الأخيلية.

نشاطاتها الثّقافية والاجتماعية:

- انتسبت في عام 1943م إلى الاتحاد النّسائي، ومثّلت سوريا في مؤتمر القاهرة عام 1944م.
- عملت في الإذاعة السّورية عام 1947م في ركن الأطفال، تروي قصصاً وحكايات لهم.
- ساهمت في عام 1955م مع مجموعة من المثقفين النّشطاء الكرد في دمشق بتأسيس جمعية "إحياء الثقافة الكردية، أنجومن"، ومنهم أوصمان صبري، حميد حاج درويش.
- شاركت في عام 1956م بتأسيس جمعية "المعرفة والتعاون الكردي" إلى جانب حسن هشيار ونوري ديرسمي وآخرين.
-كانت الأميرة روشن بدرخان المرأة الكردية الوحيدة التي ذهبت إلى اليونان لتمثل شعبها في مؤتمر مكافحة الاستعمار والعنصرية لحزب ايوكا اليوناني المناهض للعنصرية في عام 1957م، وقد تمكنت من تحقيق ذلك بفضل صداقتها المتينة مع الصّحفي اللبناني يوسف ملك الذي كان صديقاً مقرباً إلى العائلة البدرخانية. جدير بالذكر أنّها أرادت أن تظهر للعالم خصوصيتها الكردية حيث زيّنت نفسها بالزيّ الكردي وهي تحضر هذا الاجتماع.
- تعدّ المرأة الكردية الأولى التي عملت في مجال التّرجمة، فكانت تترجم من اللغتين الكردية والتّركية إلى اللغة العربية، وبذلك ساهمت في إغناء المكتبة العربية بكتبها المترجمة، وتعدّ كذلك أول امرأة كتبت بالكردية اللاتينية في مجلة هاوار عام 1932م والتي كانت تصدر في دمشق،
- توجهت في عام 1971م إلى جنوبي كردستان بناء على دعوى تلقتها من قائد الثورة الكردية مصطفى بارزاني، وأسست في مدينة حاجي عمران الاتحاد النّسائي الكردي.
- عملت روشن بالإضافة إلى كل ما ذكر كباحثة اجتماعية، فكانت تقوم بزيارات منظّمة إلى سجن النّساء بدمشق لتطلع على أوضاعهن وتستمتع إلى مشاكلهن ومطالبهن، وكانت تحاول بحسّها الإنساني النبيل أن تخفف من آلامهن وهمومهن، وتحاول غرس بذور الأمل والتفاؤل في نفوسهن.

كانت تجيدُ إلى جانب اللغة الكردية الأمّ اللغات التّركية والعربية مع إلمام بالإنكليزية والفرنسية والألمانية.

برزت في مجال التّرجمة من الكردية والتركية إلى العربية وفي مجال التّأليف أيضاً وخاصة كتابة الشّعر، ومن كتبها المؤلفة والمترجمة:

مذكرات معلمة، غرامي وآلامي، رسالة الشّعب الكردي، صفحات من الأدب الكردي رسالة إلى مصطفى كمال باشا، مذكرات امرأة، الرّد على الكوسموبوليتية.

بعد رحيل زوجها واجهت مصاعب الحياة وتقلباتها في رعاية وتربية أولادها الثّلاثة، وبعد أن كبّرتهم ذهب كل منهم إلى حياته الخاصة، حيث سافرت ابنتها أسيمة إلى القاهرة عاصمة مصر لتعيش مع زوجها والتحقت ابنتها سينم خان بزوجها الكاتب سعد الله عبدالله في بغداد عاصمة العراق، وسافر ابنها جمشيد إلى ألمانيا لمتابعة دراسته، وهنا ساءت حالتها المادية أكثر فأكثر بالإضافة إلى حالتها النّفسية فاضطرت إلى مغادرة دمشق العاصمة والسّكن في بانياس السّاحل لأنّها وجدت منزلاً مقبولاً ورخيصاً بأجرته، ليشهد اليوم الأوّل من حزيران من عام 1992م أفول النجمة المتلألئة بالحبّ والتّضحية والعطاء من السّماء الكردية، ولتحتضنها مجرّة الحبّ والتّضحية ومجرّة الإنسانية الحقة بعدما أدّت المهام الموكلة إليها على أكمل وجه، وبناء على وصيتها دُفِنت في مقبرة الشيخ خالد النّقشبندي في حيّ الأكراد بدمشق إلى جانب الأمير بدرخان الكبير وزوجها الأمير جلادت بدرخان لتدفن معها أوجاعها وهمومها التي أثقلت جسدها المرهق ونفسها الكليمة من سهام الأسى والحزن.

فهل حقاً كانت روشن بدرخان تستحق تلك الحياة التي عاشتها؟ وهل حقاً أنه لم يكن بمقدور القادرين من أبناء وبنات شعبها مساعدتها ومد يد العون وعين الرّعاية والرّأفة إليها؟ أم أنّ قدر المضحي والمعطاء ألا يُضحى من أجله وألا يتلقى مقابلاً جزاء ما يقوم به من تضحيات؟

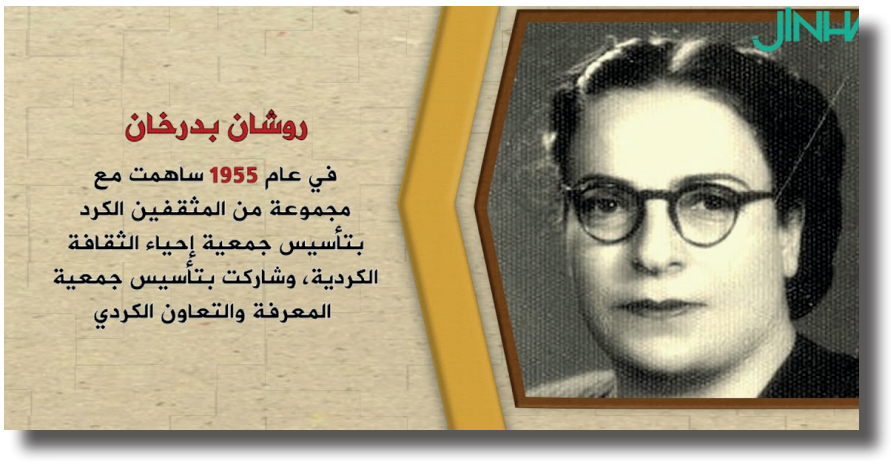

ارتجافة الخريف

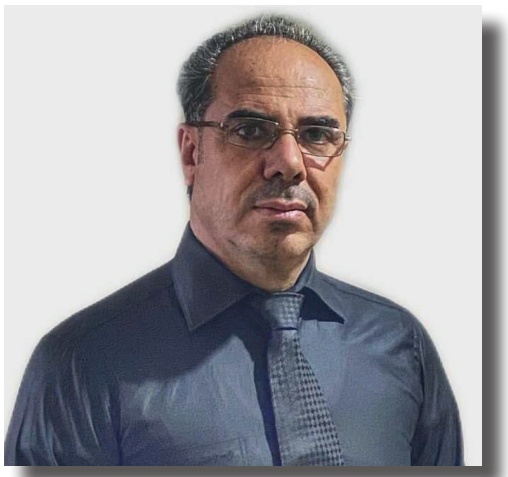

خليل عثمان

”ليالٍ مضت ْأشهرٌ سنوات ... نلاحقها وهي تهربُ نبحث ُعن وهجِ الشمسِ وعنْ أنفسنا، وفي النهايةِ نكتشفُ بأننا كنا نلهث وراءَ السرابِ.“

كان يوماً معتدلاً عندما كان بوزان يمارس رياضةَ المشي في جوارِ منزلهِ وهو بغربتهِ، في بلدٍ زخاتُ المطرِ لا تسأمُ عن التساقطِ على أشجارِها وشوراعها، وموجةٌ من النسيم المختلطِ تتسللُ إلى رئتيهِ حينما رن هاتفه في جيبه :

- ألو ..

- من المتحدثُ ؟

- أنا معمو .. يبدو أنك نسيتَ أصدقائك !

-لا لا ... كيف أنساكَ أين أنت يارجل ؟

-أنا أعيش بفرنسا بضواحي مدينة ”مورساليا“.

أدرك بوزان بأن معمو يقصد“مارسيليا“ المدينة الفرنسية التي تقع على ساحل فرنسا على البحر المتوسط .

أعصابه تشهق من المفاجأة، أشواقهُ تستيقظُ، وتتحرك إلى أكثرٍ من جهة ..

فالاهتمامات أحياناً تحترق بكل تفاهةٍ كسيجارةٍ ينقصها الرغبة إليها .

ما الذي يجعل معمو يتذكرهُ بعد كل تلك السنين، يندفع عقلهُ في لاحدود الزمن، يستعيدُ ذكريات طفولتهِ وحياتهِ الغابرةُ، يحس بانقباضٍ فظيعٍ يكاد يطبقُ على صدره، بدأ يعلو في مخيلتهِ نداءٌ غريبٌ .. معمو ذلك البوهيمي بشواربهِ العريضةِ وملامحهِ

العنيفة، وسحنته الغاضبة دون سببٍ، وهو يخرج صباحاً على دراجتهِ الصينيةِ يحمل

عدة ”َصب الباطون“ يذهبُ إلى عمله ويأتي في المساء، والذي طالما شبّههُ بوزان (بأنكيدو المتوحش) والذي روضتهُ راهبة الحب، وليصبحَ مسالماً، ويبدأ بمرافقةِ صديقه جلجامش في تلك الرحلةِ الخياليةِ

من ”أورك“ إلى غابات الأرز الساحرة.

ثم عادت تفاصيلُ مشاجرةٍ بين معمو وجيرانهِ تغزو رأسهُ فجأةً، عندما كانا هو وصديقهُ معمو يقطنان بمدينةٍ تنتمي إلى تلك المدنِ المحترقةِ تحتَ شعاعِ الشمسِ

المتساقطةِ إلى أزقتها كذراعِ امرأةٍ عارية.

عرف بوزان هذه المدينةُ منذ الطفولةِ، هناك كان بوزان ينزلقُ كل يوم بعد الظهيرةِ من بيتهِ إلى منتصفِ المدينة، يحاول التعرف إلى الأشياء دون وسيط، يمارسُ الاحتكاك، يتسكعُ باحثاً عن شيء لا يدريهِ، إنه من الذين يتساقطون على أرضٍ

يعشقونها حتى الموت .

يومها الناس في الشارع كانوا يطاردون شواغلهم أو يتحلقونَ حولها، وعندما عاد بوزان إلى الحي الذي يسكنهُ، لاح له تجمهرُ المارة في مطلعِ الشارعِ الغير المعبد، الذي يفصلُ منزلهُ عن منزلِ معمو، وكأن الأرض الرحبة ضاقت بالإنسان .

زحف بخطواتٍ لاهثة لا تخلو من ارتباك،

الأرض تتأرجح تحت أ قدامهِ ..

الخيبة تقرصهُ من الداخل ..

صاح بشيءٍ من الاستهزاء لم يستطع ْكبحهُ

- ماذا دهاكَ يا معمو ؟

الأيدي تلوّح وهي تعبر بتلوّيحها عما تعجز الحناجرُ عن الافصاحِ عنهُ، الأجسادُ تهتزُ بشدة تطعن العواءَ، ثمة سكاكينٌ ..

يصرخُ أحدهم:

- من هؤلاء الناس؟

ثم تأتي سيارةُ الشرطةِ، يخرجُ معمو بعصاه الغليظةِ وهو يستقبلهم، دقات قلبهِ تزدادُ

لحظتها بدا وجهّهُ غضوباً مكفهراً وقد امتلأ بالتجاعيدِ التي لم تكن ظاهرةً للعيانِ من قبل، يجعلهُ الغضب شخصاً جديراً بالرثاء،

بدا كأنه جثةً محنطةً تحاول الحركةَ، بينما انفجرتْ شفتاهُ عن ابتسامةٍ باهتةٍ كالّوجهِ الذي انبثقتْ منهُ، ومن خلال الشفتين لاحت أسنانٌ صفراء تآكلت اطرافها فأضحت كسور مدينةٍ قديمة.

المصائر لا تكاد تختلف بعضها عن البعض،

كأنما هناكَ خيط دقيقٌ يربطُ الناسَ جميعاً برباطٍ واحدٍ،

حين أطلّ بوزان برأسهِ من بينهم وَجَد أنّ الجيران اصطفوا أمام منازلهم وتجمّعَ قسمٌ منهم أمام منزلِ معمو

تسمرَّ في مكانهِ. المارةُ يسرعون في الطرقات فراراً من الآخرين، والشرطةُ تقود معمو إلى السجنِ.

ذلك الشريطُ يمرُ أمامَ بوزان كلمحِ البصرِ

ومع كل تلك التفاصيل .

رحلتهم معاً في يومٍ مشهودٍ آخر لن ينساه

يستدركهُ الآن في ذهنهِ بقوةٍ..

يومها وعندما خرج من منزلهِ ولمح حافلة بيضاء أمام منزلِ معمو، وقد تكدّس

بداخله بعضُ البشرِ، استفسرَ عن أمرها ووجهتها، أقتنع بكلمات معمو واندّس

داخل الحافلةِ لتنطلق بهم، ظلت نظراتهُ مشدودةً إلى ماوراءِ زجاجِ الحافلةِ، كانت شمسُ الظهيرةِ قد فرشت ضوءَها الساطع على طريق ”رودكو“ وهم يتوجهون من الرّقة إلى كوباني، فانكمشتْ الظلالُ وأمواج الغبار الناشف تلدغُ بذراتها جلدَ كل من يسيرُ في ذلك القيظ الملتهب، وبتلك القرى المتناثرة، لوى رأسهُ صوبَ النافذةِ، فانزلق نظرهُ إلى بريةٍ مترامية الأطرافِ، مستوحشةً كئيبةً تمدُ ظلالها إلى حقولٍ تم حصادها من أشهرٍ، وحان موسم حراثتها من جديدٍ، وهي ممتدةٌ مد النظر، حف وجهه هواءٌ حار، فأغلق النافذةَ وتركها فاغرةً تتلاطمها انسام البر الجافة .

داخل الحافلةِ كانت زوجةُ معمو لا تقوَ على احتباس عبراتها المخنوقة، فأفلت منها أنينٌ موجعٌ كئيب، بترَ أحاديث من في الحافلة وهي تنحبُ بترنيمةٍ كورديةٍ مبكيةً أباها المتوفي هناك في مدينته كوباني، وهي تضربُ بيدها ركبتها اليمنى، بينما يملئ الحافلةَ دخانُ السجائرِ الخانق .

كل ذلك كان يبعثُ في صدرِ بوزان ضيقٌ شديدٌ بينما الحرُ ينملُ تحت جلده .

تأملَ بوزان تلك المرأةِ الجالسةِ على مقعد الحافلةِ الخلفي، وكأنه يراها لأول مرةٍ، وهي بوجهها المنكمش، وعينيها الصغيرتين المحمرتين، وصوتها الباكي يثير في قلبه الرحمةَ والشفقة .

تمرُ الحافلةُ بقريةٍ وفيها خيمةُ عزاء، فيطلبون من معمو الاستفسار عن المتوفي،

فيخرجُ رأسهُ من النافذةِ ويصرخُ بشكلٍ غير لائق :

- لاو لاو .. من المتوفي ؟

هنا توطدتْ فكرةٌ شريرةٌ في نفسِ بوزان،

انتفض في مقعدهِ أثرَ صوت معمو الصارخ،

وتعجب من وقاحتهِ ونهرهُ قائلاً:

- لقد اهنتنا يا رجل !

امتعض معمو وهو يبتلعُ الإهانة فأشاح بوجهه منكسراً ..

بعد ساعةٍ من الزمن، يسألهم جارهم الرقاوي وهو يقودُ حافلتهُ وبصوتٍ مرتعش ضائع الحروف:

- هل وصلنا عين العرب ؟

دخلوا المدينة، وفي خيمة العزاء وبعد قيامهم بواجبهم وتناولهم الطعامَ، خرج بوزان ومعه معمو وآخرون إلى منزل صديقٍ رغب باستضافتهم في ليلة طارئة دون مواعيد .

خرجوا وهم يسيرون في أزقةِ مدينةٍ لم تولد بعد، كانت رعشةُ المساءِ وارتجافةُ الخريف

يهيمن على المكانِ، ففي ليالي الخريفِ تهبُ انسامٌ عليلةٌ مرطبةٌ بشعاعِ القمر،

وتطايرتْ ذراتُ الغبارِ في أزقةٍ بدتْ غائرةً في أزمنةٍ سحيقةٍ، بينما الظلام يتلاشى من امامهم، إنه عبقُ ليلةٍ خريفيةٍ مختلفة.

بعد قليلٍ تهجمُ غيمةٌ متأججةٌ تشبه النسر الجارح وهو يعاركُ الجو بجناحيهِ، وقطراتُ

مطرٍ كبيرةٍ تتساقط، لم تلبث أن تسللتْ من سماء المدينةِ بخفاء .

بدأتْ سهرتهم، وتفجّر الدّم في عروقِ بوزان وعادت عيونُ الحاضرين تتأمله..

بدأ الهدوء العميقُ يسودُ الغرفةَ من جديدٍ،

والنورُ يتسلل بتثاقلٍ وارتعادٍ، وليبدأ الحوارُ والكلماتُ تتناثر هنا وهناك، وليستلمَ بوزان بعدها دفةَ الحديث الذي بدا شيقاً مثيراً، وتوغلَ في ثناياه، وتمكنّ من التسلل إلى تلكَ الأنفس ومجاهل أرواحها، وجعلهم ينصتون إليه بشغف .

دارت كؤوس الشاي على الحاضرين ..

يتململُ بوزان في جلستهِ وعيناهُ على وجوه الحاضرين، لقد جمعهم أطرافُ الليل في تلك السهرة، وكل شيء غارقٌ في صمت رهيب، سوى صوت بوزان الذي يصدح ويجود بتجربته في الفكر والحياة .

وفجاةً يقوم معمو بنكزهِ من خاصرته، مرة، وثانية، ثم ثالثة، يتوقف بوزان عن الكلام.. صوته يصيح في غضب:

- معمو، ماذا تفعل ..لقد آلمتني ماذا تريد؟

- أريدُ الولاعة لأشعل سيجارتي ...

- كم ولاعة أمامك ... سيجارتك لا يشعلها إلا ولاعتي ؟

يضطربُ تنفس بوزان، وتهرب منه الكلمات، ولا يجد سبيلاً للإستمرار .

أما الحضور فترسبت في اعماقهم آلام مؤسية، تمازجت الأصوات عاتيةً، صاخبةً، مختلطة، سقطت نظراتهم على وجه معمو،

تصاعدت في سماء الغرفة قهقهةٌ تلتها همسات، ثم ينطقُ معمو الجملة الأخيرة وقد اكسبها نغمة استعطاف:

- لم أقصد إزعاجك يا بوزان!

نظراتُ الحاضرينَ ترمقُ معمو بقسوة وكأنها سهام ناريةً، بينما هو يمتعض وهو يبتلع الإهانة المبطنة، وتمالكه شعورٌ بالاختناق، وفجأةً ينفجر صدره بضحكة مكتومة، ثم بدا شارداً دون أن يدري ماذا يفعل، سوى أن يحملق أمامه ثم ينظر حوله منتفضاً يرى وجوه من حولهِ بلا معالم .

يعود السكون إلى الحجرة مجدداً لقد رابضَ بثقل المتجمع فوق كتفيهِ ويحس وطأته عذاباً له، ثم اجتذب من اعماق نفسه شهيقاً عميقاً زفر آهة لسعت حنجرته المتخشبة، ثم بدأت خواطرهُ تسترجع، سخر من خيالاته التي تراوده، هز رأسه محاولاً صرف هذه الخواطر عنهُ، إنه العوز الإنساني الذي يسود وجه الحياة .

خارج الغرفة أخذت أنوار كوباني تتلألأ حين أوشك منتصف الليل أن يدخلها، إلا معمو فإن مصابيح الأرض تعجز عن إضاءة الليالي المستديمة في حياته الموحشة .

بدا بوزان وقد أستقر الحزن مكوراً ثقيلاً في قاع قلبه وصوت معمو الغريب يتصاعد في رأسه، وتدور صورته مع كل الخيالات .

استفاق بوزان، ليعود إلى مشوراه ورياضته اليومية والتي ألزم نفسه بها، وذلك الطريق الذي حفظه عن ظهر قلب، وقريته الجديدة في بلاد الغربة .

هنا يبدأ الغضب يخرج من قلب بوزان رويداً رويداً، بينما الهدوء يحتل زوايا عقله بسرعة، فبعد ساعة من الحديث مع معمو على الجوال، يشعر بوزان بدوار وبانعدام الهواء، الزمن يشيخ ويتهدم وها هو ينحني لذاكرته، رفع عينيه إلى السماء فالشمس لم تعد حارقة، ولكن قواه تبددت تماماً، يداه لم تقدرا على الحركة، وكل شيء كان يشده للعودة إلى البيت .

أكمل جملته الأخيرة مع معمو قبل أن يودعه:

- لم تقل لي ماذا تفعل الآن ..؟

- لقد ارتديتُ الشورت كي أخرج للرياضة ولكنني فقدت الهمةَ ولن أكمل .

وصايا الموج

ديلان تمي

– 1 –
طرقٌ خفيفٌ
من صدى طريقٍ
يستغيثُ
بصوت يمامةِ الدُّرّ الخائفةِ
من صفير ريحٍ
تبارزُ القدرَ
وهروبِ أملٍ مُكفَهِرُّ الوجنتين
يسألُني:
يا غريبةُ
أما من حضن أنيقٍ
لملمَ حزنك؟!

– 2 –
ألتفتُ
ووخزُ حيرةٍ تلسعُ كبدي
تشدُّ على ميثاقي المتعرّقِ آلاف
القيودِ
أجيدُه
ذاكَ الذي تركَ لي وصالَه
لألوذَ به في عمقي
و أمكث فيه منتظرةً
لعلّي أكذب عيني يوماً
لأصدّقَ صفيرَ الريحِ
فأسألهُ:
مَن تكونُ يا صاحبَ الظلِّ
الطويلِ؟

– 3 –
يتمتمُ
وخارطةُ الأزمانِ تسيلُ من مقلتيه:
أصدقاً ما تسألين؟!
أنا زهرةُ لوتسَ
تحجّرَ رحيقُ أحلامِها
ليلَكُ دارٍ مُنحنٍ
بعدَ غيابِك
جثّةٌ خنقَتْ سماءَ اللهِ
بوصايا موجٍ
أعمَتْهُ
سبعُ سنواتٍ
فمَن غدوْتِ في هذا الزمن؟!

– 4 –
أجيبُه وجمرُ الشوقِ يبتلعُ
حنجرتي:
فراشةُ حقلٍ نشبَ فيه وباءُ الوأدِ
قُصاص الأجنحةِ
خنقِ الشرانقِ
بقيْتُ حيث أناي
أعاشرُ نضجاً نيّئاً
على وسائدَ شرقيةٍ
ناديْتُكَ يا مَن ذلَّ الحبَّ
في خاصرتي
لِم لم تأتِ
لترمّمَ جناحيَّ؟

– 5 –
همسٌ نواحٌ
يأسرُه الريحُ فيه
وبريقُ رغبةٍ آثمةٍ تتمدّدُ لذاتِهِ
تبدأُ بتمريرة إصبعٍ على شفة
سفلية
فيقول مترنّحاً من خيبته:
إني هناك
أنتِ هنا
فليسقطْ الكافُ من أبجدية وجودي
لنكونَ هنا
نتعانقُ مرّةً تحتَ أنشودةٍ للمطر
في سندسٍ محصّنٍ.
ها أنا ذا
عارٍ
من ظلّي الطويلِ
الذي عانقَكِ مرّاتٍ
في حلم على شاطئ صخورِه
تعبدُنا
أغنيتُنا محرّمةٌ
كفاكِ عناداً مدلّلاً
تعالي إليَّ
لوحدكِ
في صباحٍ لوزيٍّ
بمداعبات شمسِنا...
خطواتُ الموجِ رسمَتْ طريقَكِ
نثرَتْ فيه أريجَ ياسمينٍ معتّقٍ
ألم يكفينا قمعَ الياسمينِ تحتَ
نعالِنا؟!

رواسب الين

مثل البداية

خديجة بلوش

-إلى أين ستكون وجهتك هذا الصيف؟
أنظر إليه بكسل وأتجاوزه بنظراتي للبعيد.
أهمس كأنما أهمس لنفسي -إلى حيث تأخذني خيالاتي- أقترح عليك مدينة ساحلية صغيرة حيث يمكنك الاختلاء بذاتك بعيداً عن أعين الفضوليين.
-لم أعد أرغب في الابتعاد عن أعينهم.
-عجباً.
- لا تستغرب، تجاوزت كل العقد الصغيرة والمنغصات الباهتة، أستطيع الآن أن أخرج بدون تلك الأقنعة التي كنت مجبرة على ارتدائها.
يبتسم بتصنع ويغير الموضوع، في خضم أحاديثه الهامشية والسطحية يحاول أن يضع يده على يدي، أسحبها بهدوء وألوح بها في الهواء، أتخلص مما قد يكون علق بي من شخصيته التي لم أعد أطيقها. أطلق فجأة ضحكة هستيرية، ما أغباني، هذا الشخص الذي كنت أعشق تفاصيله الأكثر تفاهة، صرت أمقت اللحظات التي تجمعني به.
-ماذا يحدث لك؟
-استعدّت نفسي.
- تكرهينني؟
- أشفق عليك.
-كم أنت قاسية.
-كم أنت بليد.
أتركه فاغراً فاه كمن صعقه البرق. أتجه نحو الباب ليفهم أن لحظاته قد انتهت وأنه حان أوان رحيله بما تبقى لديه من كبرياء.
-سأزورك قريباً.
- لا تفعل. لن أكون هنا.
كانت البداية صعبة، كلما حاولت إقناع نفسي أن الشخص الذي أفترض أني أحبه ليس كما تخيلته وصدقت خيالي، أجدني أمام مفارقة غير عادلة، كل السنوات التي سبقت لقائي به. كانت فارغة ومؤلمة، انتظرت مطولاً قبل أن أرتبط، وحين فعلت، كنت عبدة لمزاجه النرجسي، كم كان يحب نفسه ويحب فرض ما يحب، لم يكلف نفسه يوماً عناء التعرف إليّ ليعلم ما أحب وما لا أحب، ما يستهويني وما لا يستوهيني، ما أكره وما لا أكره. كان كل شيء يدور حوله، كأنه إله من الأساطير القديمة. يحب أن تعبده المرأة، وأن تطيعه في كل شيء. حتى في أكثر الأمور حميمية. لم يكن لي خيار ولا رأي.
كنت أسير مع تياراته النرجسية مع كل ما تسببه لي من أذى روحي وجسدي، لم أهتم للحظة بما يحدث لي، كنت سعيدة بوجوده، لا غير.
-ما الذي تغير إذن؟
سؤال لا أجيب عنه بصوت مرتفع. أترك الإجابة لي وحدي، في لحظات التعقل التي أفرضها على نفسي. أبوح لي بما حدث، وأمنح لي فرصة للتخلص من شيء يجعلني أفقد احترامي لذاتي.
كان يعشق حمالات الصدر الزرقاء اللون. أتنهد وأنا أتذكر أنه فرض علي لوناً لا أطيقه. وماذا بعد؟
هل المرض اختيار؟ حتماً لا.
هو اختبار وأحياناً نقطة تحول للأحسن. فقدّت ثدياً وفقد اهتمامه بحمالات النهد الزرقاء. صار يشمئز من النظر إلى صدري.
واخترت أن أجلده بما فقد، وأستعيد نفسي وإن كنت سأبدو كمَن تنقصه لمسة صغيرة لتكتمل.

جان بابير / النمسا

لم يعد يذكرني أحد . ماذا لو عدت إلى قريتنا الهزيلة بعد عشرين عاماً من الغياب ، هل ستكون قد أصبحت كهلة مثلي! سيكون التل الأثري أضأل مما كنت أرى، حينما نكبر تصغر الأشياء والسهول التي تمتد إلى أقدام الهضاب الصخرية البيضاء التي تبدو طاعنة في السن ,والحجر البارز يكون أكثر استلقاءاً وكسلاً من البلاد التي لفظتنا كأسماك نافقة من بطن البحر، تلك البلاد العجيبة بلاد القصص والحكايا , بلاد الطوائف والمذاهب والعرقيات تكون قد أنهكتها الحرب وطعنها الهجر، سيكون جارنا المخبر الرديء قد أصبح مسؤولاً بخصى كبيرة يسنده الحزب, والمقبرة أكثر اتساعا من الحزب ذاته. من يقنعني أن تلك الفتاة الصغيرة التي عشقتها قد أصبحت أم لستة أولاد وانتفخ بطنها بالسابع، البنت التي كانت تطرز الأغاني على منديل حبنا ومواويلها تركض حافية لتوديعي واستقبالي ، خذلنا الحب والذاكرة لم تخذلنا ، كانت تركض حافية في حقل الصبح الفصيح، وتلقي بالحبوب إلى الحمائم وضحكتها تشبه أحزاني ،من يصدق أن الطرق ما زالت تحتفظ بخطواتنا؟ من يقنع هذه المرأة مستديرة البطن ومترهلة الأثداء أنها كانت عاشقة ؟، تخرج ليلاً للقاء الحبيب الذي كنت أنا , بعيداً عن ضوء القمر وخلسة عن الفضوليين، وحفظت كعكة العيد لعام في غيابي لتمنحني إياها تميمة جوع وحب ،وجدول ضحكتها الصغيرة يسري في أرض أحزاني فتنبت شجيرات الحب، من يخبر أمي في قبرها أني عدت مجهولا مني ومن تلك البنت والتل؟ ، و يقول لها :لا تهتمي بإلحادي, ألم تقولين :"العنزة تتعلق بأقدامها وكذلك النعجة ؟" كنت شاعرك الأجمل, أنظّم لك ماء الحب ,وروائياً أسرد حكايا التل والصخور، وأجعل من شجرة التوت الكبيرة مع عصافير الدوري أعضاء العمل الرئيسيين في السرد والمجاز ، أمي التي ماتت كشجرة، ما زلت أحفظ أفياء حكاياها عن قلب قلب, مجهول أنا رغم كل الشهود؛ الشجرة ، الهضبة، التل ، تلك البنت التي لم تكبر في ذاكرتي , كلهم شهود زور لا يحفظون ملامحي . غريب أنا أماه عن الدار، وحده ابن كلبنا يشم رائحة الحزن مني، وحبيبتي التي كانت تقبّل شفتي ساعات وساعات , وتقول لي بلل شفتي بريقك, لم تبقي أثر للرطوبة في فمي المليء بها ، جمعت كل لقاءاتنا وحبنا ووضعتهم في منديل ورميتهم في بئر ذاكرتها المسدود كالسرّ! .غريب أنا ومجهول عن الخرائط والأوطان ,ومنفي عني حتى إشعار آخر. لم يعد للصباح رائحة الخبز ، اغتاله الوقت،أماه! أنجبت بعدك الكثير من القصائد والروايات التي كان فيها ظل ابتسامتك وشيء من حكمتك ، جئت غريبا لا يعرفني أحد, جئت منسياً أحملك وأحمل التل وتلك البنت على ظهري وأمضي إلى طريق لا يفدي إلى ذاكرتي المثقلة بكم ، أهرب مني وتفيضُ روحي بكم ،وأبكي سنينا ، أشرب من أحلامي كوب ماء مُر أزور أحلامك أخرج كل شيء من صدري وأهرب فتلتقط حمائم تلك الفتاة الحب من أسطري ، يوجع قلبي ، أعلق صوتي وصورتي على مقبض الباب وأهرب مهرولا مبتعدا عن ذاكرتي التي تشير إليّ بحنين قاسٍ .

من مواليد مدينة كوباني، تخرّج من معهد التربية الفنية التشكيلية والفنون التطبيقية بمحافظة حلب، عمل كمدرّس لمادة التربية الفنية في مدارس كوباني، وبعد هجرته القسرية لتركيا يقيم حالياً في مدينة شانلي اورفة، وقد عمل معلماً لمادة الرسم في المدارس المؤقتة، وشارك مع منظمة iom كمشرف على برنامج الرسم، كما شارك في العديد من المعارض الجماعية والفردية في مدينة كوباني.

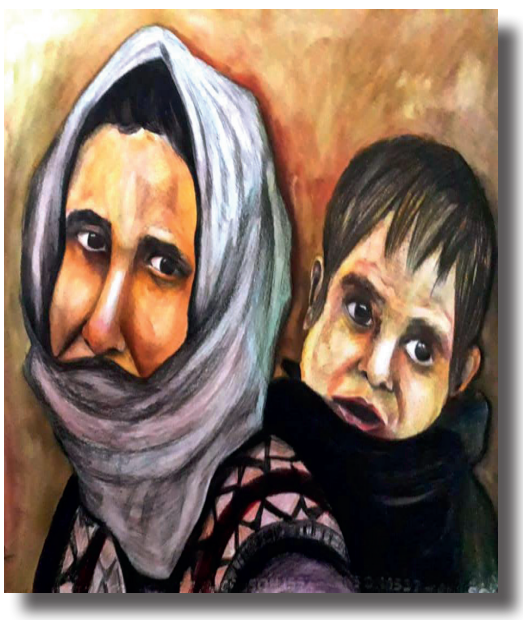

هيئة استشارية:
- جان بابير
- نارين عمر

هيئة التحرير:
- سربند حبيب
- رشيد جمال

محرّرون:
- فاتن حمودي
- سلمى جمو